



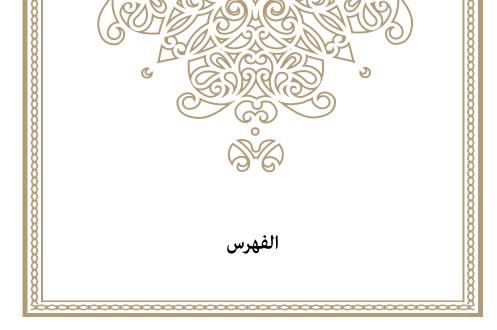




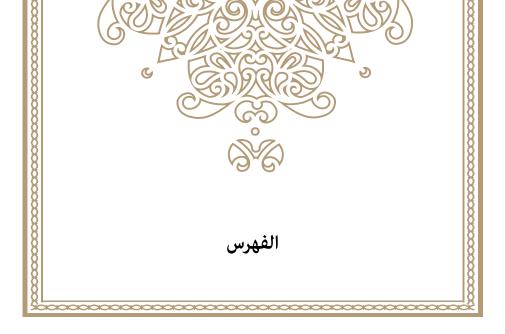


الطبعة الأولى 1442هـ–2021م

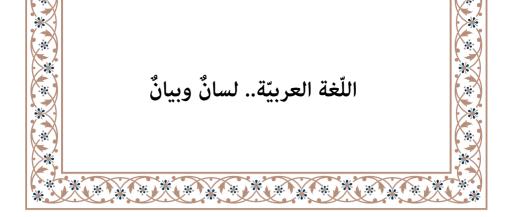
حقوق الطبع محفوظة جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية الإمارات العربية المتحدة



كلمه افتتاحيه	1
أ.د. محمد عدناني/ نائب مدير الجامعة للشؤون الأكاديمية	
تقديم الكتاب	5
إنَّها اللَّغة العربيّة! أ.د / لعبيدي محمّد بوعبد الله	
كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية أ.د / محمد الظريف	9
كلمة عميد كلية الدراسات الإسلامية أ.د / بنسالم الساهل	13
مشاركات النَّدوة	17
اللّسان العربيّ وتأسيس قيم الهويّة والانتماء أ.د / أحمد مصطفى عفيفي	
اللّغة العربيّة والتّحدّيات المعاصرة، الثّورة الرّقميّة أغوذجًا	19
أ.د / إياد عبد المجيد العبد الله	29
معيرة تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها أ.د/ محمّد السّيدي	
دور اللّغة العربيّة في تحصين الهويّة العربيّة ووحدتها	35
أ.د / محمّد التّاقي	41
الجهود الحثيثة لتعزيز اللِّغة العربيّة في التعليم في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة	
د/ كريمة مطر المزروعيّ	51
على هامش النَّدوة	55



انتشار اللّغة العربيّة بين الإنكار والاعتبار	
أ.د / محمّد الظّريف	57
اللّغة العربيّة ووظيفة البيان	
أ.د / لعبيدي محمّد بوعبدالله	73
المصطلح العربي الحديث بين الواقع المشهود والمستقبل المنشود	
أ.د / إدريس بوكراع	79
نحو تأصيل للسياسة اللغوية قراءة جديدة للحن في الثقافة العربية	
أ.د / محمّد جودات	89
إبداعات طلّابيّة قصيدة "محبوبة العرب"	
الطَّالبة / شيخة خميس الهنداسيّ	101



كتاب الندوة التي نظمتها الجامعة بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية بتاريخ 09 ديسمبر 2020

برعاية معالي رئيس مجلس الأمناء الدكتور حمدان مسلم المزروعي

المشرف العام: سعادة مدير الجامعة الدكتور خالد سالم اليبهوني الظّاهري

إشراف: أ.د / محمد عدناني نائب مدير الجامعة للشؤون الأكاديمية

تنسيق ومراجعة: أ.د / لعبيدي بوعبدالله رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

كلمة افتتاحية أ.د. محمد عدناني أبد محمد عدناني نائب مدير الجامعة للشؤون الأكاديمية



لا تأخذ اللغة -أي لغة- اعتبارها مقياس عدد المتحدثين بها فقط، وإنها هناك مقاييس أخرى تُسْنِدُ هذا المقياس، أهمها التميز اللساني الذي يؤهلها لامتداد التداول وتَوَسُّعِهِ.

وحين ننظر إلى اللغة العربية منظور المقاييس العلمية البعيدة عن الفيوض العاطفية، ندرك أنها تمتلك كل خصائص التميز التي تفرقت في غيرها من اللغات الطبيعية(*)؛ فهي عريقة زمنيا(1)، وناضجة ماهيةً(2)، وحية ومهيمنة تداوليا(*).

كل هذا يجعلنا نقول إنها ليست لغة تواصلٍ فقط يتحقق بها فعل التنبيه/ الطلب والاستجابة، وإنها هي لغة تاريخٍ وجغرافيا، لغة دين وقيم وحضارة، وفن وإبداع، وعلم وفكر... إلخ. ومنطق العلم اللغوي/ اللساني أجمعت أغلب الدراسات على أنها من أغنى اللغات الطبيعية على المستويات كافة؛ ولذلك فقد أصبحت مطلبا أساسيا لتعلمها ومُدارستها بآليات حديثة تستحيب للعص وقضاياه.

لقد شكلت اللغة العربية محور عناية خاصة من قِبَل دولة الإمارات العربية المتحدة من أجل المحافظة عليها والنهوض بها في مختلف المستويات، مستلهمة هذه العناية من رؤية الأب المؤسّس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، الذي أحب لغته، وأكبر المتداولين بها، فحرص كل الحرص على خدمتها.



لا شك في أن اللغة العربية هي أرقى اللغات وأفضلها لأنها لغة القرآن، وهذا كافي. جاء في فضلها: "ولا خفاء أنها أمثن اللغات وأوضحها بيانا، وأذلقُها لسانا، وأدلقُها رُواقا، وأعذبها مذاقا، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله، وخاتم أنبيائه، وخيرته من خلقه، وصفوته من بريته، وجعلها لغة أهل سمائه وسكان جنته، وأنزل بها كتابه المبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه". القلقشندي، صبح الأعثى، ج1، ص148. لكن ليست هذه هي الأفضلية الوحيدة لها، وإنها لها ما يُسندها من داخل اللغة: أي: من طبيعتها وتركيبها.

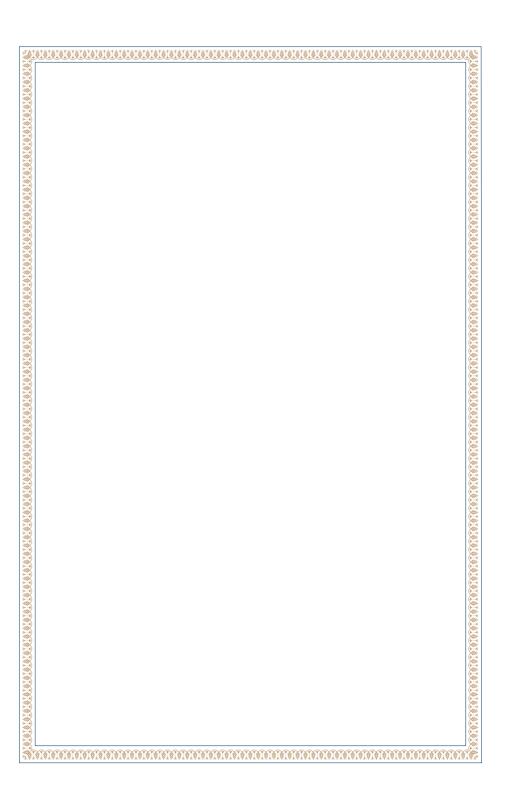
لا وجود لتاريخ مضبوط لظهور اللغة العربية، وإنما اجتهادات تحاول تجميع الدلائل من هنا وهناك لوضع زمن تقريبي، ولكنها تجمع على أنها كانت قبل
الميلاد. "قال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام". ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص
 و.

^{2.} مؤشر ذلك قول الجاحظ: "وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، [...] فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له -إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا غاية الاستظهرنا غاية الكمال. وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر. فليست لها طفولة ولا شيخوخة". نقلا عن فهد خليل زايد، العربية بين التغريب والتهويد، ص25.

ن سقف اعتبار اللغات حية هو أن يتحدثها 10000 ألف شخص كحد أدنى، ومتحدثو اللغة العربية أكثر من 470 مليون شخص، وهي إحد اللغات الست المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة، إضافة إلى الإنجليزية والإسبانية والصينية والفرنسية والروسية. وثاني لغة من حيث الهيمنة بعد الإنجليزية (تتحدث بها ستون دولة).

ومن أكثر تجليات هذه العناية باللغة العربية وإنفاذ رؤية الأب المؤسس أصدرت الدولة المياة اللغة العربية" الذي تضمن كل التوجيهات الضرورية والإرشادات العامة الضامنة السيادة اللغة العربية. وهو ما تم تفعيله بعقد الندوات والمؤقرات، وتخصيص البرامج والمسابقات والجوائز لتوعية الجميع بأن لغتهم حقيقةٌ بالتداول، جديرةٌ بالإغلاء والتميّز. بل إنها سعت بكل ما قلك إلى وضع تصورات عملية على الصعيد المحلي والعربي والعالمي، إن جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية معنية أكثر من غيرها بالانخراط في تفعيل هذا التصور، ومن هذا المنطق -وانسجاما مع وظيفتها ومهامها- نظمت ندوة علمية -احتفاء باليوم العلمي للغة العربية، بعنوان: "اللغة العربية، لسانٌ وبيانٌ"، شارك فيها مجموعة من أسهمت إسهاما تاما في إضاءة الكثير من الجوانب المتعلقة باللغة العربية وقضاياها. وما سعيها إلى حفظ هذه الورقات وتجميعها في كتاب جامع إلا من باب حرصها على اعتبار كل مجهود ببتغي إغناء البحث العلمي الخاص بلغتنا. فالشكر كل الشكر لمن أسهم في هذا الجهد وأخرجه بهذه الصورة، وبالله التوفيق.







تقديم الكتاب إِنَّهَا اللَّغَةَ العربيَّة...! بقلم: أ.د / لعبيدي محمَّد بوعبدالله رئيس قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها



إِنَّ الاحتفال باليوم العالميّ للغة العربيَّة وإن كان يأخذ طابع الرّتابة المناسباتيَّة والتَّقليد السّنويّ الذي يؤكّد للغتنا الجدارة المستحقَّة، ويضمن لها المكانة المرموقة بين بقيَّة اللُّغات البشريَّة الحيّة، إلَّا أَنَّه فرصة ثمينة للتَّمعن في قيمة هذه اللُّغة اللَّطيفة والحصيفة والشَّريفة -على حدّ وصف ابن جنّى (ت 395هـ)- لها:

اللَّطيفة بأسلوبها، والحصيفة بمنطقها، والشَّريفة بوضعها، الذي يسمح لنا بالتَّعبير عن أغراضنا، وما يختلج بين جوانحنا، بوصفها أداةً تبليغيَّةً فعًالةً، ووسيلة تواصليَّةً ذات مرونة عالية، تختزن نظامًا علاميًّا في غاية التّماسك بين وحداته الصّوتيَّة، وأبلغَ انسجامًا بين علاقاته التَّكيبيَّة والوظيفيَّة، وأتمَّ وظيفيَّةً في آليًاته النّحويَّة والبلاغيّة والتّداوليَّة واللّسانيّة بوجهٍ عامًً.

إنّها اللّغة التي ما فتئت تنبجس من أذهان العرب الخلّص في البوادي وتُخُوم المدن، وتمتّع اللّغويّين من العلماء والعارفين بخبايا الأنظمة التّواصليّة وقوانين الألسن البشريّة، وتجعل عقول الحكماء وأذواق البلغاء -قديمًا وحديثًا- تشرئبُ إلى معرفة أسرار بيانها، كما يشرئبُ إلى عذب المياه ظامئُها، وتجعل أرواح الأدباء ونفوس الشُّعراء وقرائحهم، في كلّ معاني الحقّ والخير الذي يطلبون، والجمال الذي فيه يهيمون، تطير شوقًا وتزدهي فرحًا بما توشّعهم به لآئبُها، ولس ذلك كلّه اللّ لأنّها اللّغة العربيّة.

أجل.. ! إنَّها اللَّغة العربيَّة ...

إنَّها اللَّغة النَّافعة الماتعة، الأنيقة الرُشيقة، سعِدَتْ حين حظِيَت بشهادة حقٍّ من خزانة الأدب أبي عثمان الجاحظ (150-250ه) وما أدراك ما الجاحظ! عندما قال مقولته الشَّهيرة: «ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ولا آنق، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتِّصالًا بالعقول السّليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويعًا للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء».

بل ما أسعدها من لسانٍ: مبينٍ بحروفه، ثمينٍ بأفعالِه، قَمِينٍ بأوصافِه، مكينٍ في أسمائِه، متينٍ بجُمَله وتراكيبِه؛ حين تشرَّفت بنقل تنزيل ربِّ العالمين الذي ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَييٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشُّعراء، 193-195] فلم يزد بهاؤُه وثراؤُه واردِي واديه وعشَّاقَ الخطاب القرآنيُّ -على مدى العصور - إلَّا إمانًا وتثبيتًا.

يُحقّ لنا في غمرة هذا الاحتفال العالميّ والاحتفاء بهذه اللّغة التي تعانق فونيماتها (وحداتها الصَّوتيَّة) أرواحنا، ومورفيماتها (وحداتها الصَّرفيَّة) شغاف قلوبنا، يحقّ لنا -بافتخار عارم- أن نلهج بكلّ عبارات المدح والثّناء على هذا اللّسان القويم، والحديث عن ميزاته وخصائصه؛ بوصفه أمتع ما نطق به إنسان، وأنفس ما انفرد به من بدائع الجمال وروائع البيان، وما أدهش العقولَ بسحره، بما لا ينفسح المجال لذكره...!



إنَّها اللُّغة التي لن يزيد في قيمتها المحفوظة في شيء كلُّ ما قيل عنها ويقال، وإخفاؤه -بله جحوده- لن ينقص -أيضًا- من قيمتها السَّرمدية في شيء، بل إنَّ زعم ذلك وهمٌ من الأوهام؛ لأنّه ضربٌ من ضروب المحال: [وافر]

وَلَيْسَ يَصحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ *** إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَليل

فلم يبق لنا والحال هذه، إلَّا الإشادة بجمال هذه اللُّغة، وجميلها علينا؛ مِما أضفته من لمسة حضارية، وبصمة دينية وتاريخية على عناص هويّتنا وقيمنا وأصالتنا وانتمائنا، فيمسى الاحتفاء بها عرسًا حضاريًّا خالدًا، يتجدُّد مع تدفّق مشاعر الودّ، وعوامل الوفاء، ومتطلّبات الولاء، قبل أن بكون تفاعلًا مناسباتيًّا؛ بجعل من المناسبة فعلًا ثقافيًّا عابرًا، أو طقسًا لسانيًّا خاطرًا.

عاشت لغتنا الجميلة، حامية التَّاريخ العتيد، والمجد التّليد، وحامية حياض الفضيلة، أن جمعتنا في هذه النَّدوة العلميَّة، بين ثلَّة من العلماء الجهابذة، والباحثين المقتدرين، ممَّن رفعوا راية العربيَّة عالية خفَّاقةً، وكتبوا عنها بضمير وقَّاد متوجِّس، وفكر علميّ عميق متمرّس، وإحساس بعانق السّؤدد في أبهى تحلّباته.

إنّها النّدوة التي نظّمتها جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة، الصّرح العلميّ والحضاريّ السّامق، المشرق برؤيته المعتدلة، وأهدافه الاستشرافيّة النّبيلة، ومكتسباته المعرفيّة والثّقافيّة الأصلة.

فالشَّكر لرئيس مجلس أمنائها معالى الدَّكتور حمدان مسلم المزروعيّ على كرم رعايته هذه النَّدوة، ولمديرها سعادة الدِّكتور خالد سالم اليبهوني الظَّاهريِّ على الإشراف على أشغالها، وعنايته بطباعة ما ألقى فيها من محاضرات ومشاركات، وتوثيقها في هذا الكتاب الذي يحمل عنوان النَّدوة نفسها: (اللُّغة العربيَّة.. لسان وبيان).

والشَّكر أيضًا لنائبه المكلِّف بالشَّؤون الأكادميّة الدّكتور محمّد عدناني على جهد التّنسيق الدَّؤوب، ولعميد كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة الدَّكتور محمَّد الظَّريف على المتابعة المستمرّة.

ولكلّ من حضر النّدوة أو حاضر، من أعضاء الهيئتن التّدريسيّة والإداريّة للجامعة، وجميع الطِّلَابِ والطَّالِبات، والضِّيوف المشاركين بأوراق بحثيَّة؛ تخدم أهداف الاحتفاليَّة، وبخواطر صادقة تتغنّى بجمال اللّغة العربيّة وسحر بيانها الأخّاذ، كلّ واحد باسمه وجميل وسمه: [طویل]

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنْبَت شَعْرَة *** لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا فسلامٌ عليكم بإخلاصكم الرّاقي، وعميق حبّكم الباقي. وسلامٌ على لغتنا في كلّ سنة نحتفي بها، وسلامٌ عليها في كلّ يوم نزدادُ عشقًا لبهائها المفتول بخيوط من نور، ورقيّها الذي يتزايد عبر العصور.



وفَق الله الجميع، وكلّ لحظة واللَّغة العربيّة باقيةٌ راقيةٌ.

أبو ظبي في: 31 ديسمبر 2020







معالي رئيس مجلس أمناء جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة. سعادة مدير الجامعة.

السّيدات والسّادة نوّاب مدير الجامعة ورؤساء أقسامها وجميع العاملين بها. السّيدات والسّادة أعضاء الهبئة التّدريسيّة.

السّيدات والسّادة المشاركون في الاحتفاليّة من داخل الدّولة وخارجها. بناق الطّالبات أبنائي الطّلبة.

الحضور الكريم..

السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:

نعيش هذه الأيام بسعادة عارمة واعتزاز كبير أعيادًا غاليةً ستظلّ منقوشةً في جبين هذا الوطن، نتعلّم من خلالها دروسًا عاليةً في الوطنيّة والإنسانيّة، وحبّ العلم والمعرفة؛ عيد إطلاق اسم صاحب السّمو الشّيخ محمّد بن زايد -حفظه الله- على جامعتنا يوم الخامس عشر من شهر نوفمبر 2020م؛ تكريهًا للعلم وتقديرًا للرّسالة السّامية التي يؤدّيها في المجتمع، وعيد التّسامح في السّادس عشر من الشّهر نفسه والسّنة نفسها؛ احتفاءً بريادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة للتّعايش واحترام الآخر وتعزيز القيم الإنسانيّة الرّاقية، وعيد الاتحاد يوم الثّاني من ديسمبر بما يمثّله من معاني الأخوّة والتّعاون والوفاء والاحتفاء بالمنجزات العظيمة، ويوم الشّهيد بما يحمله من رموز: التّضحية، والفداء، وحبّ الوطن، والوفاء لأرواح أبطال الإمارات، الذين قدّموا أرواحهم فداءً للوطن في مختلف الميادين.

واليوم نواصل هذه السلسلة الذّهبيّة من الأعياد بالاحتفاء باللّغة العربيّة، ضمن احتفالات العالم باليوم العالميّ للّغة الأمّ، تقديرًا لمكانتها الحضاريّة وحضورها العالميّ، بوصفها لغةً رسميّةً فاعلةً في المنظومة الدّوليّة، كما أوصت بذلك الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في 18 ديسمبر 1973؛ وبوصفها أداةً راقيةً للتّواصل الحضاريّ بين مختلف الأمم والشّعوب التي تداولتها لغة علم وبيان وفكر وحضارة.

وإنّها لمناسبةٌ جليلةٌ تبعث على الاعتزاز بهذه اللّغة التي شرّفها الله تعالى بكتابه العزيز، وأغنتها الحضارة الإسلاميّة بعطائها المتنوّع، وتدعو في الآن نفسه إلى المضيّ في إغنائها وتطويرها؛ لمواصلة رسالتها الحضاريّة في تعزيز التّواصل والحوار، وبناء الفكر، وفتح آفاق الإبداع والابتكار، وهو أمر لا يعجزها كما وصفها بذلك الشّعراء والبلغاء والنّبغاء.

وإنّ كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة لتدرك هذا الأمر وتجعله في مقدّمة مشاريعها، وفي صدارة أولويّاتها في أنشطتها المختلفة واهتماماتها التّربويّة والأكاديميّة والبحثيّة.



فاللّغة العربيّة تشكّل مكونًا أساسيًّا في برامجها المختلفة، الإسلاميَّة والأدبيَّة والفلسفيَّة والبُحوث والدّراسات والأخلاقيَّة، وهي لا تتوقَّف عن تطويرها، وتعزيزها بالكتب الجامعيَّة والبحوث والدّراسات والنَّدوات العلميَّة التي تحفّز على الإبداع والابتكار، وقد أصدرت في هذا الباب كُتُبًا جامعيّةً كثيرةً؛ لتعزيزها على الرّغم من حداثة نشأتها، ولم تجد أيِّ صعوباتٍ ومشكلاتٍ في تدريسها؛ اعتمادًا على وسائل التواصل الجديدة؛ لأنَّ هذه اللّغة التي -كما تحدّثت هي عن نفسها-: [طويل]

وسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً *** وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ لا يمكن أن تضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات؛ حسب تقدير شاعر النيل حافظ إبراهيم.

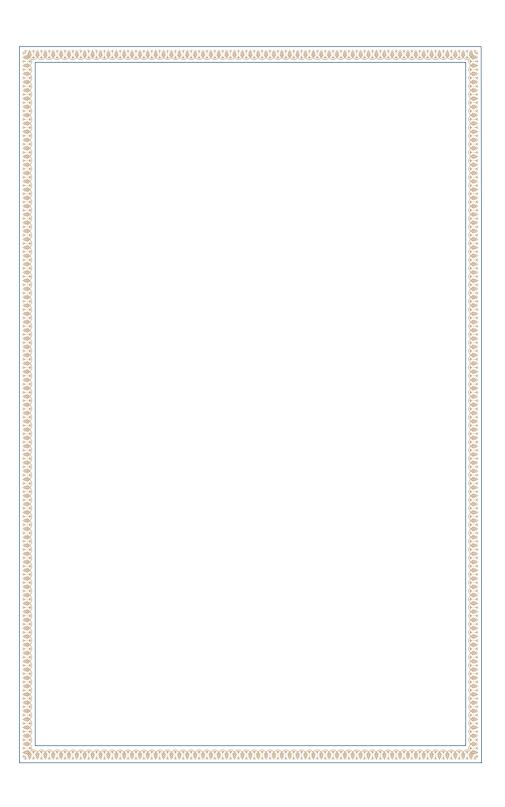
وسيتمّ تعزيز هذه الجهود بمشاريع أقوى وأوسع في خدمة هذه اللّغة بعد احتضان الجامعة لأكاديميّة اللّغة العربيّة ومركز التّميّز.

وتنطلق جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة وكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في هذه المشاريع والمبادرات من رعاية دولة الإمارات العربيّة المتّحدة لهذه اللّغة، وإيمانها بأهمّيتها ودورها الفاعل في حياة الفرد والمجتمع، وبقيمتها الفكريّة والحضاريّة، ودورها في تعزيز الحوارالحضاريّ الذي تتولّى قيادته في العالم.

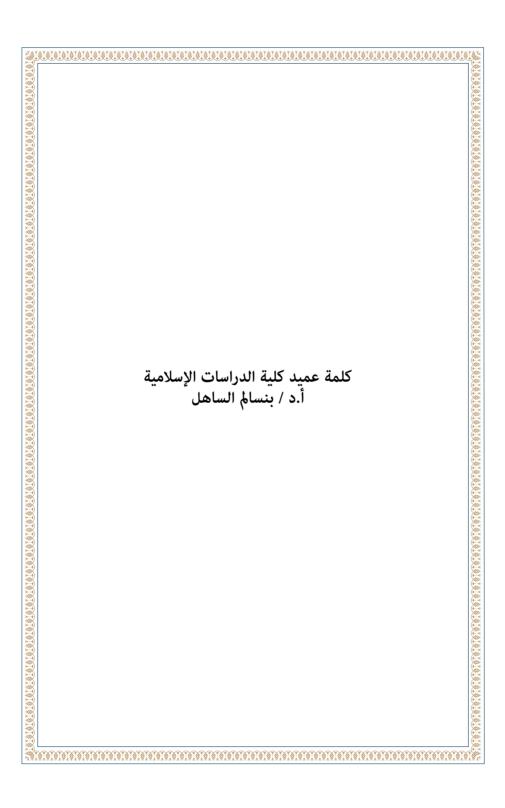
فاللّغة العربيّة حسب رؤية صاحب السّموّ الشّيخ خليفة -حفظه الله- وإخوانه شيوخ الإمارات -حفظهم الله- هي أساس الهويّة الوطنيّة وإحدى أهمّ الرّكائز التي تجمع بين أبناء الأُمّة العربيّة؛ ووعاء التّراث العربيّ الأصيل والقيم والرّؤى، والتّنوّع الثّقافيّ والحوار بين الحضارات. وإنّ "الإسهام في الحفاظ عليها هو قيمة إسلاميّة، وفريضة وطنيّة وترسيخ لهورّتنا وحذورنا".

انطلاقًا من هذه الرّؤية الحكيمة جاءت هذه المبادرة التي استبقنا بها هذا الحدث التّاريخيّ الذي يحتفل به العالم في الثّامن عشر من ديسمبر من كلّ سنة؛ آملين أن نحقّق آمال وطموحات القيادة الرّشيدة، ونعيد لهذه اللّغة بهاءها ورونقها وحضورها القويّ والفاعل في الحياة، إلى جانب باقي اللّغات العالميّة التي تشكل سندًا لها وعاملًا مساعدًا في غناها وامتدادها.

شاكرين لمعالي رئيس مجلس الأمناء وسعادة مدير الجامعة رعايتهما لهذه الاحتفاليّة، ولجميع المشاركين فيها، وسيبقى هذا الحفل تقليدًا علميًّا جميلًا، نحتفي فيه مجنجزاتنا؛ في خدمة هذه اللّغة في مختلف المجالات التي تُستعمَل فيها أداة تعبير وتنوير وبيان. والسَّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.









بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين.

معالي سعادة رئيس مجلس أمناء الجامعة المحترم.

معالى سعادة مدير الجامعة المحترم.

السّيّد نائب مدير الجامعة للشّؤون الأكاديميّة المحترم.

السّيد عميد كلّية اللّغة العربيّة وآدابها المحترم.

السّيد رئيس قسم اللّغة العربيّة وآدابها.

السّيّدات والسّادة أطر وموظّفو جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة.

السّيدات والسّادة المشاركون في هذه الاحتفاليّة باليوم العالميّ للّغة العربيّة.

سعداء بلقياكم في هذا اليوم الأغرّ، وفي هذه الاحتفاليّة المتميّزة بلغة الضّاد، التي جمعت نخبة من المفكّرين والأساتذة المهتمّين بالشّأن العلميّ والثّقافيّ عامّة وباللّغة العربيّة وعلومها خاصّة.

لا شكّ أنّ هذا اللّقاء العلميّ سيكون قيمةً مضافةً ونوعيّةً، ضمن الجهود التي تروم تعزيز مكانة اللّغة العربيّة في المشهد الثّقافيّ والفكريّ العالميّ؛ بوصفها من اللّغات الرّسميّة في المحافل الدّوليّة، ولغةً مِتدّ تاريخها وعراقتها إلى آلاف من السّنين، وامتدّ انتشارها على مدى شعوب وأمم متعدّدة، اتّخذتها لغةً رسميّةً وركيزةً حضاريّةً، ووعاءً دينيًا لصلواتها وتسبيحها في محاريب العلم والعبادة.

لقد تميزت اللّغة العربيّة عبر تاريخها الطّويل بقدرتها على الامتداد والاستيعاب، وحمل المضامين الفكريّة والثّقافيّة والأدبيّة لشعوب وثقافات عديدة. وهي اليوم -كما كانت بالأمس- وسيلةً للتّثاقف والتّلاقح الحضاريّ بين مختلف الأمم والأفراد النّاطقين بالعربيّة وبعيرها، ووعاءً للفكر والإبداع والأدب والثقافة، ورسالة سلام لمختلف الأمم في العالم.

وهي تشهد انتشارًا وتطورًا ورقيًّا، نابعًا من اهتمام عالميّ بها، على صعيد المحافل الدّوليّة والعلميّة والفكريّة... كما تعرف نهضةً خاصّةً في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة؛ التي توليها رعايةً فائقةً؛ بتنظيم المسابقات، والمهرجانات الأدبيّة، والجوائز الدّوليّة الكبرى. إضافة إلى تأسيس الهيئات العلميّة، والمجامع البحثيّة والمؤسّسات الرّسميّة؛ لترسيخ اللّغة العربيّة في المشهد العلميّ والتُقافيّ والأكاديميّ: محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا.

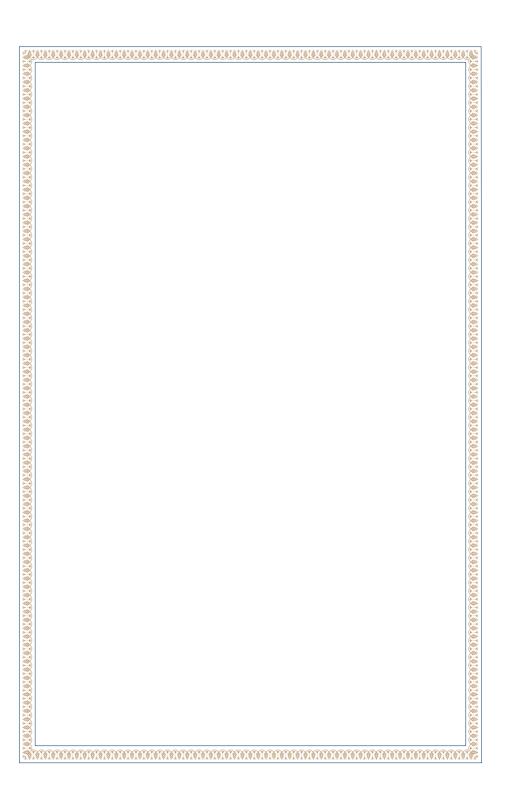
واليوم سنستمع إلى مداخلاتكم العلميّة، وورقاتكم البحثيّة، ومشاريعكم في خدمة العربيّة والنّهوض بها. ولا شكّ أنّنا سنفيد منها، وستكون لبناتٍ إضافيّةٍ، ودعائم كبرى لتشييد صرحٍ عالِ للعربيّة بين مختلف لغات العالم وثقافاته.

فلكم منّا جزيل الشّكر والامتنان، وللّجنة المنظّمة بالجامعة أكبر العرفان؛ لجميل ما قامت

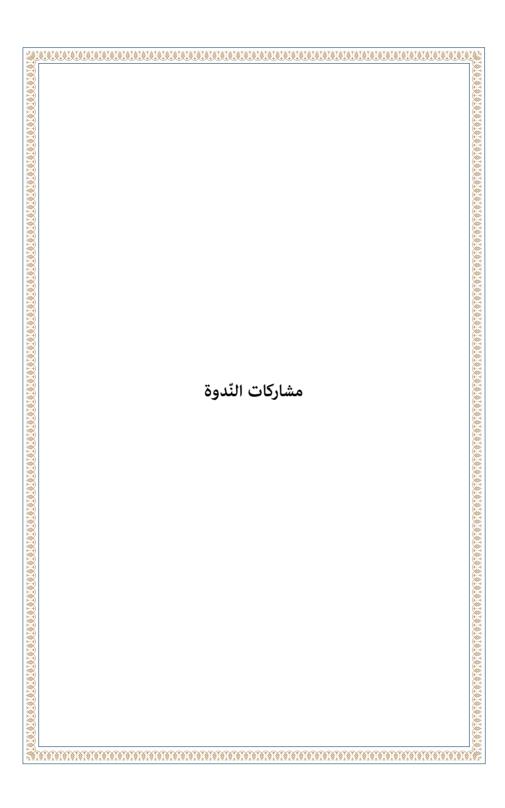


به وقدّمت من جهود مشكورة؛ لإخراج هذه الاحتفالية في أبهى مظاهرها.
وانجلّد الشكر العظيم السعادة معالى رئيس مجلس الأمناء، وسعادة مدير الجامعة،
والطّاقم الإداري والأكادييّ بالجامعة، على ما يقدّمونه من جهود جيّارة للرّقيّ بالعربيّة
خصوصًا؛ والشّان العلميّ والتّربويّ عمومًا.
والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

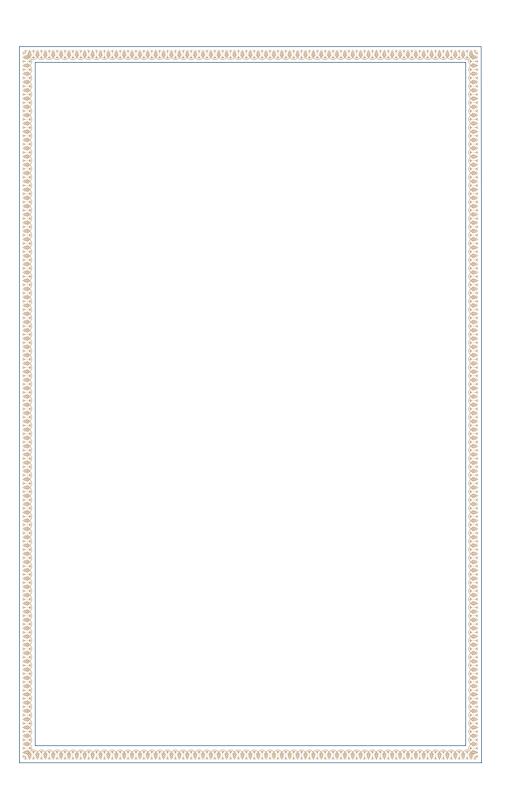




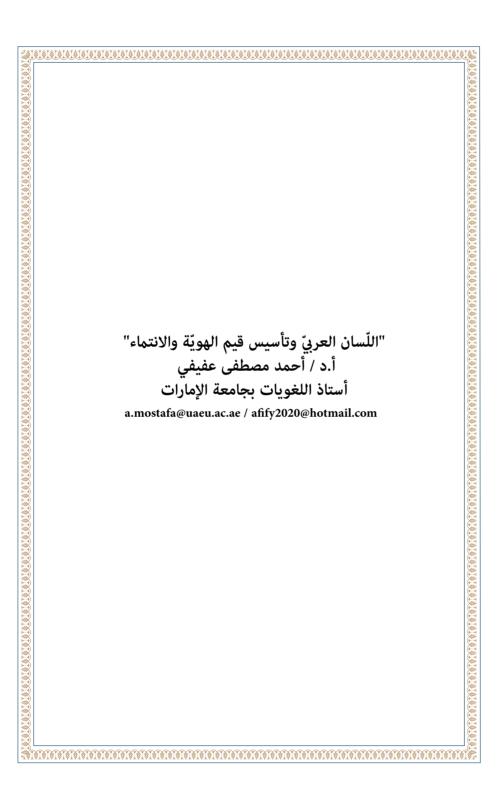














مقدّمة:

سأنطلق في هذه النّدوة من قناعة تامّة ومبّررة -على كلّ المستويات- بأنّ اللّسان العربيّ هو رمزٌ لهويّة الإنسان العربيّ، وعنوانٌ لحضارته. وأنّه لا كينونة للإنسان ولا وجود له دون هويّة يلوذ بها، تحتضنه وتحميه، يعتنقها فتؤسّس له حياته، وترسم له طريقه، وتنظّم له فكره، وتجعله جزءًا فاعلًا من كيان مجتمعيّ يعيش فيه؛ ليتأكّد له أنّ الشّعور بالهويّة والانتماء والولاء إغّا هو مصدر اعتزاز وفخر، وإحساس بالكبرياء والعزّة والكرامة والثّقة بالنّفس، وهو مصدر إحساس بالقوّة والْمَنَعَة. فالإنسان يحتمي بهويّته بكلِّ مقوّماتها وأسسها، وعلى رأس هذه المقوّمات اللّسان العربيّ الذي يحتمي به الإنسان؛ فاللّغة جزءٌ مهمٌ من كينونته ووجوده، فلغتي هي مسكني، وهي موطني ومستقرّي، كما يقول الفيلسوف الألماني هددر.

فكلُّ الأمم الواعية تعتصم بلغتها؛ حمايةً لهويتها ووجودها وثقافتها وتاريخها؛ لتضمن لنفسها البقاء والنّموّ والتّطوّر. ولا أظنّ أمّةً من الأمم تهمل لغتها، وتتقاعس عن خدمتها إلّا وأصابها الوهن والضّعف. فمن خلال قوّة اللّغة تعمل الشّعوب على الوصول إلى وجدان الآخر وعقله؛ خدمةً لمصالحها، لهذا أصبحت الهويّة صناعةً مهمّةً عند بعض الشّعوب الحديثة المفتقرة إلى تجسيد فكرة الانتماء لتوحّد أفكارها (أمريكا أنهوذجًا).

وإذا كان أمر اللّغة مهمًّا إلى هذا الحدّ في صنع الهويّة، فلا نندهش من تلك الأسئلة الخطيرة التي طرحها "جاك دريدا" [1930] (2004-Jacques Derrida) في كتابه: "أحاديّة الآخر اللّغويّة"، التي يَحكن أن نسمّيها بأنّها الفكرة المحوريّة لهذا الكتاب، ومن أبرز تلك الأسئلة:

- هل يمكن للّغة أن تكون أساسًا للهويّة، ومن ثمّ أساسًا للمواطنة؟
- وهل في مقدور اللّغة -لحالها- أن تشكّل ماهيّة الهويّة والمواطنة على حدّ سواء؟ إنّ دريدا يطرح فكرة مفادها: أنّ الانتماء الحقيقي يكون فقط من خلال اللّغة.

يقول جاك دريدا: «أنا أشعر بالضّياع خارج اللّغة الفرنسيّة. في حين أنّ اللّغات الأخرى، كتلك التي أستطيع أن أقرأها-ولكن بصعوبة بالغة- أو تلك التي أحاول فك رموزها، أو أن أتكلّمها أحيانًا، فإنّها لغاتٌ لا أستطيع أن أسكنها أبدًا. ذلك أنّ مقرّ (السّكنى) يعني بالنّسبة لي البداية الحقيقيّة لإمكانيّة القول، وسأبقى كذلك.

إنّني، وأنا خارج اللّغة الفرنسيّة، لا أشعر فحسب بأنّني تائه تمامًا، خائر القوى ومذموم، ولكن أشعر أيضًا بأنّني أعمل على تشريف أو خدمة كلّ الألسن المتكلّمة، وبكلمة واحدة. أنا أكتب بطريقة (أجمل) وأنا أشحذ همّة المقاومة الموجودة في فرنسيّتي، و(الصّفاء) الذي يطبعها. فرنسيّتي التي أتكلّمها بصوتِ عال».

لاشكً أنّ العلاقة بين اللّغة والهويّة علاقة وجود، فكلّنا يعرف أنّ اللّغة أسلوب حياة، وهي جزء أساسيّ من كينونتنا، ولها أثر كبير في الفكر والشّعور، فهي لا تشكّل معالم هوّيتنا فقط،



ولكنّها تحدّد شروط القبول أو عدم القبول، ومعايير الانتماء أو عدم الانتماء. يقول كاستل -وهو أحد العلماء الباحثين المعروفين في قضايا الهويّة والعوامل المؤثّرة في تشكيلها-: "إنّ اللّغة -التّعبير المباشر عن الحضارة- تصبح خندق المقاومة، والحصن الأخير لحماية الدّات، والملاذ الأقوى للهويّة والتّراث".

ولاشك أنّ كلّ مقوّم من مقوّمات هويّة الإنسان عِثّل قيمةً مهمّةً في صنع تلك الهويّة، وتجسيدها في صورة متكاملة، سواء كان المقوّم لغويًّا أو اجتماعيًّا أو دينيًّا أو سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو جغرافيًّا أو تاريخيًًا، فكلّ مقوّم يعدُّ لبنةً مهمّةً في صرح الهويّة الشّامخ، إلّا أنّ المقوّم اللّغويّ يعد أكثر المقوّمات أهميّة، وهو اللّبنة الأولى في ترسيخ مفهومها، ومن هنا يحكن القول بإمكانيّة الجمع في هويّة واحدة بين الأقطاب المختلفة دينيًّا، وكذلك يمكن الجمع بن أصحاب النزعات المختلفة اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو تاريخيًًا...إلخ.

واللّغة العربيّة رمز للهويّة، وهي من أكثر اللّغات تجسيدًا لقيمها المتجذّرة في نفس الإنسان العربيّ. وينبغي أيضًا أن يكون لدينا يقين بأنّ الانتماء التزامٌ، والالتزام مسؤوليّةٌ، والانتماء اعتزازٌ، والاعتزاز أصالةٌ، والانتماء ارتباطٌ بالتّراث والثّقافة، والارتباط يؤصّل لمصير مشترك ينبغي أن يؤمن به العربيّ ويجسّده في سلوكه، وكذلك الانتماء لغةٌ، واللّغة حوارٌ وتواصلٌ بين الأجيال، والتّواصل حياةٌ للأمّة وأبنائها.

_ تأسيس المفاهيم:

نتناول هنا مصطلحات: الهويّة، الانتماء، الولاء؛ حيث تمثّل هذه المصطلحات حجر الزّاوية في حديثنا.

_ مفهوم "الهويَّة":

إنّ مصطلح "الهويّة" هو أحد المصادر الصّناعيّة، مثل: "الوطنيّة" و"القوميّة"، وهي تلك المصادر التي تتكوّن من الكلمات الجامدة، وبعدها "ياء مشدّدة" ثمّ "تاء تأنيث مربوطة"، فإذا ما جئنا للفظ "الهويّة" سنجده مكوّنًا ممّا يأتى:

"هو": ضمير المفرد المذكّر الغائب المقترن بـ: (أل) التّعريفيّة، ثمّ "الياء المشدّدة" في آخر الضّمير، تتلوها "تاء التّأنيث المربوطة"، لتصير الكلمة في نهاية الأمر (الهُويَّة). وهي تنطوي على "تقابل ثنائيّ يفترق فيه مبناها ومعناها: فمبناها مبنى المصدر الصّناعيّ من (هو)؛ فهي بذلك معادل: ما هو (أو كينونة الآخر). أمّا معناها فهو: ما أنا (أو كينونة الذّات).

أمًا في الأصل اللّاتينيّ فيعني الشّيء نفسه؛ أو الشّيء الذي هو ما هو عليه، على نحوٍ يجعله مباينًا لما يمكن أن يكون عليه شيءٌ آخر، ويختلف تعريفها باختلاف زاوية تناول الباحثين لها اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا أو نفسيًّا أو ثقافيًّا أو فلسفيًّا، ممّا جعل مفهومها غامضًا غير محدّد المعالم في كثير من العلوم.

تتعدّد التّعريفات بتعدّد الزّوايا -كما أشرنا- ونخرج بعد التّأمل بنتيجة مؤدّاها:



إنّ هويّة الفرد هي التي تؤسِّس هويّة الجماعة التي ينتمي إليها، وهويّة الجماعة هي التي تؤسِّس لمجموعة أكبر داخل مجتمع ما؛ لنكون أمام هويّة الدولة، ثمّ يجتمع كلّ ذلك ليؤسِّس لهويّة الأمّة، وتنطلق تلك الهويّة من إيمان الفرد نظرًا وتطبيقًا باستخدام لغةٍ مشتركة، يتحدّث بها كلّ أفراد المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء المستخدمون لها.

هذا هو مفهوم "الهويّة" في مستواها العامّ، وأستطيع أن أطلق عليها "الهويّة الأمّ " أو "الهويّة الكبرى" في مقابل الهويّات الفرديّة للأشخاص.

وبتأمّل ما سبق نلحظ ما يأتى:

1 - إنّ الهوية تصنعها الوراثة في غالب الأحوال؛ فالفرد يولد وتُفرض عليه لغته الأمّ، ومن هنا فلا اختيار للشّخص في وضع اللّبنة الأولى من صرح الهويّة، ثمّ يتبع ذلك الهويّة الدّينيّة والعادات والتّقاليد وثقافة المجتمع.. إلخ.

2 - ارتباط الهويّة دامًا بالانتماء والولاء، وقد ظهر ذلك في تعريفات كثيرة، ومن منظورات متنوّعة، ومن هنا يجب أن نتناول مفهوم الانتماء والولاء.

_ مفهوم "الانتماء" و"الولاء":

إنّ "الانتماء" سمةٌ فطريّةٌ في الإنسان، وهو لفظ محبّب إلى النّفس؛ لما فيه من إحساس صادق علاً النّفس رضًا والدّات قناعةً. وإنّ الانتماء إلى جماعة معيّنة أو فكر معيّن مع مجموعة أخرى من البشر يُشعر الإنسان بالأمن والطّمأنينة والأمان النّفسيّ؛ لأنّ مجموعة الانتماءات التي يؤمن بها الإنسان تجعله ضمن مجموعة يتآلف معها، ويترابط مع قضاياها وأفكارها.

ويبدأ انتماء الفرد من استخدام لغته التي ورثها عن أمِّه، وانتسب من خلالها للجماعة، فيقال: "عربيِّ" أو "فرنسيِّ" أو "إيطاليِّ" نسبةً إلى اللَّغة، ثمّ يحقِّق "الولاء" لها بالدِّفاع عن قضاياها وأفكارها. فقد يكون الفرد عضوًا في جماعة، أو فردًا في فئة ولا تتحقِّق له صفة "الولاء"؛ لأنّه ليس مخلصًا لها فكرًا وسلوكًا. ومن هنا، فالانتماء في جوهره روحٌ وسلوكٌ وعاطفةٌ تدفع الفرد للقيام بأغاط سلوكيّة معيّنة، بجسِّد من خلالها انتماءه للجماعة.

ولهذا كان الانتماء اختيارًا حرًّا من جانب الفرد، باستثناء الجانب اللّغويِّ الذي ورثه الفرد مع مولده. وعادةً ما يكون الانتماء اللّغويِّ مبكِّرًا؛ لأنّ اللّغة التي استخدمها الفرد هي أوّل ما أطلق شرارة العقل؛ حتى وإن تعلم الإنسان لغاتٍ أخرى فستظلّ اللّغة الأولى (اللّغة الأمّ) تشعل عقله دامًا، وعليه أن يختار ما يختاره بعد تفهّمه للأمور، وإعمال عقله فيما يُقبِل عليه من الأفعال.

والملاحظ ارتباط "الانتماء" بالولاء ارتباطًا جوهريًّا؛ ورجًا كان الانتماء مرحلةً من مراحل "الولاء"،فإذا كان الانتماء انتسابًا وانضمامًا إلى جماعة معيّنة، فإنّ الولاء يعني التّفاني في خدمة قضيّة ما. لكنّ الرّابط بينهما لابدّ أن يكون "الإخلاص" في الانضمام والتّفاني في الخدمة،



ومن هنا يأتي التّمايز بينهما.

وقد قال بعض الدّارسين بأنّ الانتماء يكون لجماعة وعناصر متشابهة في التّكوين العضويّ واحدٌ، والنّفسيّ، في حين أنّ الولاء يكون لقضيّة معيّنة أو لمجموعة من القضايا يربطها نسقٌ واحد، فيحمل لفظ "الانتماء" دلالةً حسّيّةً واقعيّةً، فالجماعة تتجسّد في مكان وزمانٍ معيّنين، ويحملُ لفظُ "الولاء" دلالةً فكريّةً أو مثاليّةً، فيكون لفكرة أو قضيّة تعبّر عن مثل أعلى. اللّغة وصناعة قيم "الهويّة" و"الانتماء":

ينبغي أن نعترف بأنّ اللّغة من أهمّ العوامل التي ترسم ملامح الشّخصيّة الإنسانيّة، وهي أسلسٌ للقوميّة، وأنّ اللّغة الأمّ هي صاحبة السّيادة عند الأمم الواعية، فاللّغة من داخلها تصنع وعيًا قوميًّا خاصًًا لدى متحدّثيها، يخترق هذا الوعي-بشكل فطريًّ- كلّ الحُجُب للوصول إلى قيم الانتماء الرّاسخ في الوجدان البشريّ؛ ليصنع نوعًا من التّوحّد في التّفكير والثّقافة المرتبطة بالسّلوك المنظّم لتصرّفات الإنسان. فاللّغة انتماءٌ، والانتماء هويّة للأمّة، والهويّة قيمةٌ، والقيمة تتجسّد في حقيقة الإنسان الفطريّة التي تولد معه، وهي أيضًا ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ تتجسّد في حياته.

مستويات الهويّة:

المستوى الأوّل: هويّة فرديّة

تتحدّد من خلال هذا المستوى الهويّة الشّخصيّة للفرد، فيظهر تمايزه بين الأفراد باسم خاصّ به، يحدّده وعِيّزه عن غيره من أسماء الأشخاص (اسمه، معتقداته، أفكاره).

المستوى الثّاني: هويّة جماعيّة

يَمثّل هذا المستوى من الهويّات هويّة الجماعة الصّغيرة التي تحيط بالفرد، ربّا هويّة قبيلته أو قريته أو مدينته.

المستوى الثّالث: هويّة الدّولة

وهذا المستوى أعلى من سابقه فهو يضمّ جماعاتٍ متّفقة لغويًا، وربما تختلف دينًا أو مذهبًا، لكنّها تقع كلّها في إطار واحد، ويقع هؤلاء الأفراد تحت مظلّةٍ واحدةٍ من ناحية الجنسيّة بالرّغم من التّمايز الفرديّ أو الجماعيّ بينهم، فنقول: "إماراتيّ"، "مصريّ"، "لبنانيّ".

المستوى الرّابع: الهويّة القوميّة

هي تلك الهويّة في مستواها الأعلى، ويشمل هذا المستوى جميع الأفراد داخل الوطن الواحد والقوميّات المماثلة التي تتماثل فيها هويّات، وتتطابق داخل محيط جغرافيّ يضيق أو يتّسع، حسب ما يقع تحت هذا المستوى، ممّا يشعر به الأفراد من انتماء قوميّ لكلِّ ما يضمّه هذا المحيط الجغرافيّ من دين أو ثقافة أو مذهب أو فكر ما، لكن تحت إطار لغة واحدة يستخدمها الجميع، ومن هنا تأتي القوميّة العربيّة أو القوميّة الأوروبيّة.

_ الرّوابط التي تصنعها اللّغة:



تصنع اللّغة المشتركة التي تتحدّث بها الجماعة عددًا من الرّوابط بين أفراد هذه الجماعة، وتتمثّل فيما بأق:

- الرّابط الفكريّ:

ويتمثّل في القضايا الثّقافيّة المشتركة؛ فاللّغة هي الوسيلة الوحيدة التي تحمل المعاني والدّلالات لكلّ الأشياء، من أحداث وحقائق ومفاهيم وتاريخ، وأنشطة الإنسان من إبداع إنسانيّ وتجارب حضاريّة، وهي القادرة على تصوير كلّ الأنشطة الإنسانيّة، قولًا وفعلًا، وذلك عثّل الحالة الفكريّة والثّقافيّة للأمّة، وتلك الحالة التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد.

- الرّابط الشّعوري:

وعثِّل هذا الرَّابط قيمةً مهمّةً في تجسيد البعد القوميّ، فاللَّغة تحمل شحنات من المشاعر والأحاسيس المشتركة بين أفراد الأمّة، يستطيع الإنسان إدراكها بشكل دقيق وفعًال، من خلال اللَّغة المشتركة التي يستخدمها هؤلاء الأفراد. ولاشك أنَّ هذا الرَّابط من الأهميّة بمكانٍ؛ لأنّه "يمثّل النّاحية الوجدانيّة والنّفسيّة التي تعبِّر عنها روح الأمّة؛ فهي معانٍ ليست موضوعيّةً، بل ذاتيّةً يشعر بها المنتمى إلى الأمّة التي تستعمل تلك اللّغة.

اللُّغة والحدود الجغرافيّة وصناعة الهويّة:

أمامنا ثالوث يشكِّل -بوضوح- ترابطًا فعّالًا؛ لرسم ملامح الهويّة المرتبطة بالمكان. وإنّ الرّبط بين هذه العناصر الثّلاثة عِثِّل دورًا أساسيًّا وواضحًا في تجسيد هويّة الإنسان. والسّؤال الذي نطرحه الآن هو الآتي:

إذا كان الرّبط واضعًا بين اللّغة والهويّة إلى هذا الحدِّ، فهل نستطيع تجاهل دور اللّغة في رسم الحدود الجغرافيّة التي -على أساسها- تبنى فكرة الهويّة الجماعيّة والوطنيّة والقوميّة؟ بعيارة آخرى:

هل مكن وجود هويّة لغويّة دون انتماء لحدود جغرافيّة معيّنة؟

أعتقد أنّ الإجابة عن هذين السّؤالين تقتضي البحث في مفاهيم العلاقة بين "اللّغة" و"المكان".

إنّ النّاس الذين تربط بينهم الهويّة -بدءًا من اللّغة وانتهاءً بأفكار جزئيّة - تتشكَّل ثقافتهم الكلِّيَّة من خلال اللّغة. إنّ هؤلاء النّاس لابدً أن يجمعهم محيط جغرافيُّ واحدٌ، يضمّهم عصالحهم المشتركة، وانتماءاتهم الواحدة. فيخلق المكان بينهم امتزاجًا ملموسًا يوحِّد توجّههم، ويرسم لهم طريقًا واحدًا. ومن هنا ندرك أهمّية مقولة "أنّ التّلاحم المكانيّ والتّوحُّد اللُّغويّ -بصفتهما حقيقتين ثابتتين واقعيّا، ودامُتين تاريخيًّا- يشكّلان معًا الأساس الصّلب لأيّ حركة قوميّة".

وهنا تظهر قيمة الرّبط بين "اللّغة" التي تصنع حدودًا جغرافيّةً، و"الهويّة" التي تتشكّل في نفوس من يعيشون على هذه البقعة التي تضمّها لغةٌ واحدةٌ. وهناك من ذهب إلى أبعد



من ذلك؛ فاللّغة مَثِّل عاملًا وعنصرًا جوهريين في الوجود القوميّ. ومن أبرز هذه النّماذج إقليم (كيبك) في (كندا).

ومن النّماذج أيضًا انفصال (جنوب السّودان)؛ لظروف الصّراع المتنوّعة، وعلى رأسها استخدام لغة مخالفة للغة (الشّمال السّودانيّ)، ليصبح الشّمال دولةً مستقلّةً.

ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ اللَّغة ترسم حدودًا طبيعيّة أيضًا؛ فقد قال فيخته: "إنّ الذين يتكلّمون لغةً واحدةً يؤلّفون من أنفسهم كتلةً موحّدةً ربطت الطّبيعة بين أجزائها بروابط متينةٍ، وإن كنًا لا نراها. إنّ الحدود التي تستحق أن تُسمىّ حدودًا طبيعيّةً بين الشّعوب هي التي تسمم ما اللّغة"

ليس إذن من قبيل المبالغة القول بأنّ اللّغة هي التي ترسم الحدود الجغرافيّة والسّياسيّة والطّبيعيّة بين الأمم، فهي أيضًا ترسم هويّة الأمّة، وتحدّد ملامح انتماءاتها. وإذا كانت الحدود الجغرافيّة اللّغويّة هي التي ترسم للفرد هويّته وانتماءه، فعلينا فهم ما يقوله مارتن هيدجر [1889] [1889] عن اللّغة عن أنّه حقيقة لا مجاز عندما بقول:

"إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقرّي، هي حدود عالمي الحميم، ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، ومن خلال عيونها أنظر إلى بقيّة أرجاء الكون".

ولعلّ الحديث عن "اللّغة" و"الهويّة" و"المكان" ينقلنا إلى الحديث عن قضيّة مهمّة في حقل "الهويّة"، تلك القضيّة هي:

هل تهوت "الهويّة"؟ أو بعبارة أخرى: هل يقلّ بريقها عند المغتربين من الأفراد الذين غادروا بلادهم، وعاشوا بعيدًا عن أوطانهم الأم؟

مبدئيًّا لابدّ أن نفرِّق بن نوعين من الأفراد:

- أُولًا: الأفراد الذين وُلِدوا خارج وطنهم، وخارج لغتهم الأمّ، وعاشوا في بلاد بعيدة عن وطنهم الأصليّ.

- ثانيًا: الأفراد الذين وُلِدوا في وطنهم وبين أحضان لغتهم الأمّ، وتعلّموها، وتأثّروا بأفكارها وثقافتها، وشربوا العادات والتّقاليد لوطنهم الأمّ، وتلك الفئة الثّانية هي الفئة التي سيكون الحديث عنها، ويكون السّؤال منصبًّا عليهم: فهل تموت "الهويّة" عند هؤلاء؟

والإجابة تكون بالنّفي.

ومن النّماذج الدّالّة هؤلاء المبدعون بالعربيّة الذين يعيشون في بلاد غربيّة.

الحفاظ على اللّغة حفاظ على الهويّة:

في يقيني قناعةٌ مؤكَّدةٌ، وهي أنَّ الحفاظ على اللُّغة حفاظٌ على الهويَّة.

وليس ذلك مبنيًّا على أقوال بعض الباحثين فقط، بل إنَّ نتائج التِّحليل والتَّامَّل تؤكِّد ضرورة الاقتناع بهذا الرِّبط بين اللِّغة والهويَّة وجودًا وعدَمًا، ويتمثّل هذا الرِّبط فيما يأتي:



1 _ إنّ الحفاظ على اللّغة إنّا هو حفاظٌ على الخصوصيّة الثّقافيّة، التي تميّز العرب للرّابخهم الطّوبل وثقافتهم المتميّزة في عصور الحضارات السّابقة.

2 _ إنّ اللّغة العربيّة لا تحمل ثقافة الأمّة العربيّة فحسب؛ بل تجسّد في عقل العربيّ وروحه منظومةً من القيم والأخلاق التي تجعل العربيّ ساميًا في نفسه وروحه. وقد عبّر عن ذلك عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- الذي تيقّن من أثر العربيّة في فكر المسلم وسلوكه وثقافته وكلِّ معارفه، فقال -موصيًا أصحابه-: "تعلّموا العربيّة فإنّها تثبت العقل وتزيد في المروءة". وذكر في رسالته إلى واليه أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-: "أن مُرْ مَن قبلك بتعلُّم العربيَّة؛ فإنّها تدلُّ على صواب الكلام".

3 _ إنّ اللّغة العربيّة تصنع ربطًا واضحًا بين أبنائها، فهي العروة الوثقى للمجتمع كلّه، وهي شريانه الحيويّ، تقوَي بقوّة نزوع المجتمع إلى الوحدة والتّرابط، وتقوّي أواصر التّفاهم بين أبناء المجتمع.

معوقات الهويّة:

1 _ الانفتاح غير المحسوب: ومن ضمن هذه المعوّقات الواضحة هذا الانفتاح الذي لا تحدّه حدودٌ ولا يوقفه معارضٌ، فلا شكّ أنَّ الانفتاح يحتوي على كثير من الجوانب الإيجابيَّة في حياة الشّعوب من تقدّمٍ علميًّ وتفاعلٍ ثقافيًّ وامتزاجٍ فكريًّ، وصنع حوار يصل بالطَّرفين إلى الأفضل، ولكن يتمُّ ذلك بشروطٍ، هي:

أ _ وضوح الرّؤية لدى كلِّ الأطراف: بحيث لا تكون هناك أهداف سرّيّة يفاجأ بها أيُّ من الطَّرفين، كالسّيطرة عليه أو الارتقاء على حسابه، أو جعله بوَّابةً للوصول إلى هدف ما.

ب _ أن يظلّ كلّ طرفٍ محتفظًا بلغته وتاريخه ومبادئه وثقافته، ويكون الاحترام مجسِّدًا لثقافة الآخر ولغته، مع محاولة الإفادة من ثقافة الآخر.

ج _ احترام كلِّ طرف لهويّة الآخر وثقافته وقوميَّته.

2 _ عدم احترام أهل اللَّغة لها، وخاصّةً الأجيال الجديدة، تلك الأجيال التي نشطت في استخدام اللِّسان الأجنبيِّ، ناسيةً -أو متناسيةً -أنَّ في هذا الاتِّجاه قضاءً على هويَّتنا إلى حدِّ الضَّاء.

100 100



خاتمة:

إذا كانت اللّغة عنوانًا للهويّة، وكانت الهويّة دليلًا على النّسق الثّقافيّ للفرد، فإنّ اللّسان العربيّ هو الذي يرسم ثقافة العربيّ وينظّم فكره، فالرّبط بين اللّغة والهويّة هو أحد أقوى الرّوابط الإنسانيّة والاجتماعيّة.

<u> Pata interiatata interiatata interiatata interiatata interiatata interiatata interiatata interiatata interiata</u>

وإذا كان أمر الارتباط قامًا إلى هذا الحدِّ، وكانت الهويّة هي كينونة الفرد ووجوده، فإنّ اللّغة -وهي الفاعل الأوّل للهوية- ينبغي أن نحتفي بدورها.

وفيما يأتي بعض المقترحات التي أشير إليها في خامّة البحث:

1 - ضرورة دعم اللّغة العربية، وتنشيط بقائها، وشيوعها، واستمرارها؛ لتكون لغة فكر وثقافة، من خلال وضع استراتيجيّات لغويّةٍ؛ بهدف دعم الهويّة العربيّة، وتقوية روح الولاء والانتماء للإنسان العربيِّ.

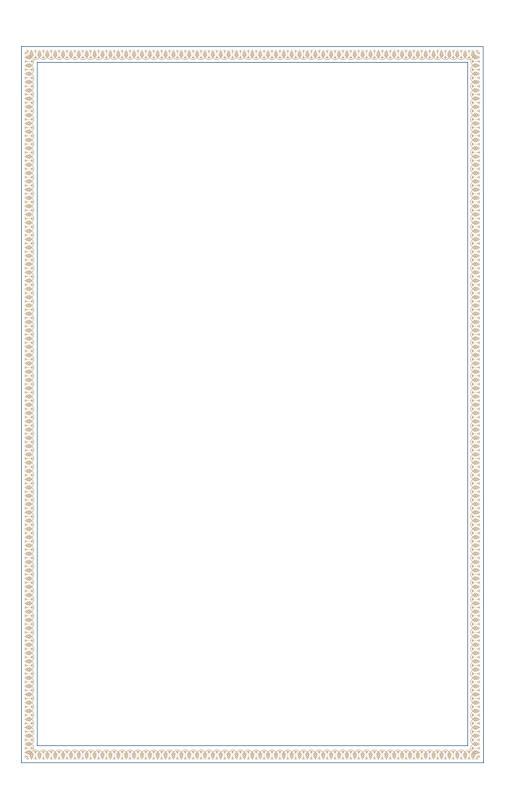
2 - الهويّة هي: الوجود، والكينونة، وإثبات الذات. واللّغة صانعة لتلك الهويّة، ولهذا يجب علينا الحفاظ على وجودنا وكينونتنا بالحفاظ على لغتنا. وضرورة التّأكيد على أنّ محاربة اللّغة هي محاربة الهويّة، ومحاربة الهويّة هي محاربة ذواتنا.

3 - توحيد الجهود الرّامية للحفاظ على اللّغة -بوصفها المؤسِّس الأوّل للهويّة القوميّة - والحفاظ على الانتماء العربيّ، وذلك من خلال تأسيس كيان كبير يشارك فيها الجميع، وربًا يظهر هذا الكيان من خلال هذه المجهودات الحثيثة لجامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة، وهذا الاهتمام الكبير باللّسان العربيّ من خلال المجامع اللّغويّة العربيّة، وجمعيّات حماية اللّغة العربيّة، والمراكز والمؤسّسات الكثيرة، على مستوى الوطن العربيّ؛ التى تنادى بخرورة الحفاظ على لغتنا؛ بهدف الحفاظ على هويّتنا.

4_ ضرورة التّخطيط لدور وسائل الإعلام المرئيّ والمسموع والمكتوب؛ لحفز الشّعوب العربيّة على التّمسّك بلغتهم، وتوضيح سبل الحفاظ على هويّتهم من خلال الحفاظ على اللّغة العربيّة

5 _ تشكيل هيئة عليا للبحث في مشكلات اللّغة، ووضع سياساتٍ لغويةٍ مدعومة من أصحاب القرار، على أن تكون الحلول المطروحة واجبة التّنفيذ؛ كإزالة التّلوّث اللّغويّ الموجود بالشّارع العربيّ، مثل اللَّافتات المكتوبة بالحرف اللّاتينيّ، ومخاطبة وسائل الإعلام التي تستخدم لهجات غير مفهومة.. إلى غير ذلك، ممّا يكون علاجه واجبًا وحاسمًا.







" اللّغة العربيّة والتُحديات المعاصرة،
التّورة الرّقميّة أموذجًا "
أد / إياد عبد المجيد الله
أد / إياد عبد المجيد الله
وشاعر وكاتب
cbraheem_cyad@yahoo.com



مقدِّمة:

اللّغة العربيّة هي عنوان هويّتنا العربيّة، ورمز كياننا القوميّ، وهي جامعة الشّمل، وموحِّدة الكلمة، حافظة تراثنا، ولغة قرآننا، قال الله تعالى: (إِنّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: 2]؛ ذلك لأنّ لغة العرب أفصح لغات التّخاطب بين النّاس، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم في النّفوس، وهي اللّغة التي أحكم الله -سبحانه وتعالى- بها ألفاظ آيات القرآن الكريم، وفصِّلت معانيها، فقال -عزّ من قائل-: (الركتّابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيم خَبِيرٍ) [هود: 1] وهي واسطة نقل الأفكار وانتشارها، وهي العلاقة التي تربط بين أفراد الأمّة، وتعبّر عن أحلامهم وآمالهم، وعن أفراحهم وآلامهم، وكما قال الشّاعر: [كامل]

لُّغَةٌ إذا وَقَعَتْ على أَسْماعِنا سَتَظَلُّ رابِطَةً تُؤَلِّفُ بَيْنَنا كَانَتْ لَنا بَرْدًا على الأَكْبادِ فَهيَ الرَّجاءُ لِناطِق بالضَّادِ

إنّ طبيعة اللّغة -أيّ لغة- وطبيعة الحياة توجب استمرار الرِّعاية الدّامُة، والمتابعة المستمرّة؛ حتَّى لا تتجاوز الأشياء طبيعتها، وأن لا تُترك الأحداث على سجيَّتها.

فاللِّغة كائنٌ حيُّ متطوِّرٌ، يحتاج إلى توجيه في هُوِّه وتطوّره؛ ليوافق السِّياق الذي ينسجم مع أصله ويعتمد على قاعدته. فهي كالشَّجرة الوارفة التي تنتشر أغصانها، وتتهدّل حولها وتتسع بجانبها، وإذا لم تُقطَع هذه الأغصان، وتشذَّب شجرة اللِّغة تحوَّلت أغصانُها إلى أحراشٍ ونباتاتٍ ضعيفةٍ تعيش في كنف الشَّجرة الوارفة، وقصّ الماء الذي ينساق في أصلها، وتحرمها الظِّلَّ والشَّمس، فيضعف قوامها كلَّما قويت الأعشاب المحيطة بها، وامتدَّت فروعها بعيدًا عن أصلها، وتشعّبت اتِّجاهاتها، وانحرفت عن نسق الشَّجرة الأصل وسموها. إنّ اللّغة العربيّة الفصيحة تعيش اليوم في خضمً متلاطمٍ من أحراش العاميَّة، وتخوض حرب البقاء المشروع، على الرّغم ممّا تواجهه من صور التَّحدِّي، ولاسيما حين يتشبَّع النَّاس بالثَّقافة العلميَّة، ويعيشونها، ويعجبون بها، ويجد الكثير من أبناء العربيَّة العاميَّة مُيسَّرةً سهلةً لديه، ويستعملها ويتفاعل معها، ويظنُّ أنَّه يستطيع أن يستغني بها عن الفصيحة، وانتشرت في قنوات الاتِّصال كتابةً وحديثًا، ممًا جعلنا نعيش حالةً من الانفصام الثَقافيً، وحالةً من الزدواج اللُّغويً.

واللّغة -كما حدَّه وظيفتها اللِّسانيُّون- ليست وسيلةً للتّفاهم أو للتّواصل؛ بل هي حلقةٌ في سلسلة النّشاط الإنسانيُّ المنتظم، وهي جزءٌ من السّلوك الإنسانيُّ، إنَّها ضربٌ من العمل. تواجه اللُّغة العربيَّة عدَّة تحدِّيات على المستوى العامِّ، والمستوى التَّعليميّ، وسأحاول - في هذا المقام- الحديث عن بعض هذه التّحدُّيات، وسأركِّز على جانبٍ مهمٍّ، وهو واقع لغتنا العربيَّة في الفضاء الرَّقميِّ.



أوّلًا: المدرّس والمنهج والأدوات:

إنَّ أهمّ المشكلات والتّحدِّيات التي تواجه اللّغة العربيّة، منها ما يتعلِّق: بالمدرِّس، والمنهج، وأدوات القياس الموضوعيِّ. فضلًا عن قلّة استخدام المعينات التّعليميّة والتّقنيّات الحديثة، والضّعف في الكتابة والتّعبير والإملاء، واضطراب المستوى اللّغويّ بين مختلف كتب الموادّ الدِّراسيّة، وبُعد اللّغة عن فصيحة العصر، وصعوبة بعض قواعد الكتابة العربيّة، وتأثير وسائل الإعلام على الجهود التي تبذلها المؤسّسات التّعليميّة في تعليم اللّغة العربيّة.

ثانيًا: الثّنائيّة والازدواجيّة:

إِنَّ من أَهمٍّ ما يواجه اللَّغة العربيَّة في القرن الحادي والعشرين الميلاديِّ، وفي وقتنا هذا -فيما يُسمَّى بعصر العولمة- هو منافسة اللَّغة الأجنبيّة (اللَّغة الإنجليزيّة) للَّغة العربيَّة وبما يُسمَّى (ثنائيَّة اللَّغة) إلى جانب -ما أشرنا إليه- التَّحدِّي المستمرِّ للَّغة بما يُسمَّى (ازدواجيّة اللَّغة) ومزاحمة العامِّيَّة للَّغة الفصيحة.

إِنّ منافسة اللّغة الأجنبيّة (اللّغة الإنجليزيّة) -لغة العصر - للّغة العربيّة، ممّا يؤدِّي إلى الاستلاب الثَّقافيُّ في ظلِّ العوملة، ويهدِّد الهويَّة القوميَّة والانتماء للأَمَّة العربيَّة، وتزداد هذه الخطورة حدَّةً عندما نلمس عزوف الكثيرين من طلبتنا عن لغتهم القوميَّة، وبخاصَّة في الخُول العربيَّة؛ بحجَّة أنَّها لم تواكب العصر.. رغم أنَّ اللّغة واجهت منذ القديم تحديًّاتٍ كثيرة؛ وما ذلك إلَّا لأنَّها لغة القرآن الكريم. ومن المعلوم أنَّ "اللّغة" و"الدِّين" هما العنصران المركزيًّان لأيُّ ثقافةٍ أو حضارةٍ. ويمكن أن نرد بهذا كلِّه على قوى العولمة وتأثيراتها الإعلاميّة القائمة على الضّجيج والصّخب والتبشير باللّغة الإنجليزيّة على أنّها اللّغة العالميّة التي هي لغة السه يّة.

ثالثًا: الثّورة الرّقميّة:

إنّ اللّغة العربيَّة اليوم تعيش على إيقاع مواجهةٍ مفتوحةٍ على عدّة مستوياتٍ لضمانِ البقاءِ: بصفائها، وجماليّتها، وتأثيرها في الثّقافة العربيّة، وحتّى العالميّة.

وتتجلَّى ملامح المواجهة الضَّارية من خلال ثلاثة مجالات استراتيجيَّة، هي:

- 1 / المجال التّربويّ والتّعليميّ.
 - 2 / المجال الإعلاميّ.
 - 3 / المجال السِّياسيّ.
- 1 _ في المجال التّربويّ والتّعليميّ: تزداد تحدّيات اللُّغة العربيَّة في الوطن العربيِّ عمقًا؛ بسبب:
- (أ) ضعف منهجيًّات وأساليب وطرائق التَّعليم؛ فقد أكَّدت الدِّراسات أنَّ التَّعليم اللُّغويًّ العربيَّ اليوم لم يتطوَّر في ضوء التَّحدُيات المعاصرة للُّغة العربيَّة.
 - (ب) المعرفة الضَّحلة التي يتلقَّاها المتعلِّم (ة) عبر الحاسوب والإنترنيت... إلخ.



(ج) - الوسط البيئيّ للّهجات المحكيَّة في المؤسّسات التَّعليميَّة يشكِّل خطرًا على نظام اللّغة العربيَّة الفصحة.

2 _ في المجال الإعلاميّ:

- هفوات الإعلام العربيِّ بخاصَّة على مستوى أداء المذيعين والمذيعات الذين لا يؤدُّون لغةً عربيَّةً سليمةً، لتفوُّق تكوينهم الإعلاميِّ على تكوينهم اللُّغويِّ.
 - _ البرامج المسموعة والمرئيَّة الحالية لا ترتقى بذوق المتلقِّى، أو بذوق المشاهد لغويًّا.
- _ إصرار بعض وسائل الإعلام اليوم على تقليص استخدام اللَّغة العربيَّة بذريعة الحاجة إلى إعلام الغرب، والادِّعاء أنَّ اللِّغة لا تتلاءم مع برامج الحياة اليوميَّة.
- _ إصرار القنوات التّلفزيونيّة العربيّة على استعمال العامِّيّات المحلِّيَّة؛ كاللَّهجات الخليجيّة والمُحريّة والمُعربيَّة والمغاربيَّة وغيرها.

3 _ في المجال السِّياسيِّ:

- _ إنّ بعض الأنظمة العربيَّة أمام تدهور مكانة اللُّغة العربيَّة لم تسارع إلى إصدار القوانين والتَّشريعات الكفيلة بأن تضمن حماية للَّغة القوميَّة من المخاطر التي تتهدِّدها، وبخاصَّةٍ مقاومة الانتشار الفظيع للّهجات العامِّيَّة في وسائل الإعلام العموميَّة.
- _ لم تعد الخطابة السِّياسيَّة أنهوذجًا للسَّلامة اللَّغويةَّ والفصاحة الأسلوبيَّة؛ فأغلب المسؤولين لا يحرصون على سلامة اللَّغة التي ينطقونها؛ فلغتهم لا تعرف السَّلامة والفصاحة.

لقد باتت الثَّورة الرَّقميَّة واقعًا يفرض نفسه بأيِّ مجالٍ من المجالات السَّابقة، أو التي تتَّصل بحياة الإنسان، بصفة عامَّة، والثَّقافة والإبداع والعلوم بخاصَّة؛ لذا ينبغي تناولها اليوم كتحدًّ يستلزم استنهاض الهمم للتَّفكير والتَّساؤل عن مستقبل علاقة لغتنا العربيَّة بالثَّورة الرَّقميَّة، عا تفرضه علينا من إشكالات ورهانات.

إِنَّ معنى التَّحدِّي في اللُّغة العربيَّة وفي كلِّ اللُّغات يأخذ معنيين متضادَّين:

- 1 الإنذار بعدم القدرة على فعل التَّحدِّي؛ بسبب الصُّعوبات التي تحيط الموضوع المتَّصل
 - 2 مواجهة الصِّعاب؛ بهدف التَّغلُّب عليها، وعدم الاستسلام لها.
 - وبذلك مكننا أن نطرح جملة أسئلة، أبرزها:
 - كيف مكننا تحليل علاقة التّورة الرّقميَّة بالإبداع من جهة التَّحدِّيات والآثار؟
 - ماذا أعددنا نحن -أبناء اللُّغة العربيَّة- من سبل لمواجهة التَّحدِّيات الجديدة؟
 - كيف مكننا الانتقال إلى العصر الرَّقميِّ والانخراط فيه؟
- كيف يمكننا تجاوز عتبة "استهلاك" ما ينتجه الآخرون من تقنيات جديدة، وأفكار وإبداعات تتماشى معه، إلى الانتاج الذي يؤهِّلنا للإسهام في تطوير منجزات هذا العصر؟
- لماذا تأخَّر انتاج نصوص إبداعيَّةِ في مختلف الفنون والآداب العربيَّة بالاستفادة ممَّا حقَّقته



الثَّورة الرَّقميَّة على الصَّعيد العالميِّ؟

إنَّ طرح هذه الأسئلة الآن يهيِّئ لإعداد بحثٍ أو محاضرةٍ واسعةٍ في هذا المجال؛ فالثَّورة الرَّقميَّة تكمن في كونها مسَّت مختلف جوانب حياة الإنسان، حتى إنَّها صارت ملكًا مشاعًا بن مختلف الأفراد والجماعات، أيَّا كان مستواهم الثَّقافي والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ.

الحديث عن العصر الرَّقميّ يفرض نفسه في مختلف نواحي الحياة، وهي تدفعنا إلى تغيير رؤيتنا إلى التَّاريخ والحاضر من أجل المستقبل، فهل استطاعت البرمجيَّات اللُّغويَّة العربيَّة اليوم أن تضعنا أمام إبدال معرفيًّ جديد على المستويات كافَّة.. وما لها وما عليها؟

يدعو بعض الباحثين اليوم إلى كتابةٍ عربيَّةٍ رقميَّةٍ، انطلاقًا من وعيٍ عميقٍ بضرورة الدُّخول في العصر الرَّغم من الانتقادات والمؤاخذات التي تعرَّضت لها هذه الدعوة..

فُهل تتوافر لدى العرب على مفاهيم عربيَّة للشَّبكة العنكبوتيَّة وعالمها السِّحريِّ الفسيح؟!، وما واقع اللّغة العربيَّة في الفضاء الرّقميِّ؟!

وهل خلق الوسيط الجديد أشكالًا جديدةً للانتاج والتَّلقِّي..؟

إجمالًا لا يمكننا الحديث عن مرحلة رقميَّةٍ في الانتاج والتَّلقِّي، دون حضور وعي رقميٍّ، وتفكير رقميًّ، ورؤية وفلسفة رقميَّة للأشياء والعالم.

الأسئلة التي تقودناً اليوم، كيف نعيش عصرنا؟ كيف يمكن أن نفكِّر رقميًّا؟ كيف يمكننا أن نكتب رقميًّا؟ وكيف يمكننا أن نقرأ رقميًّا؟ وهل طرق التَّفكير والكتابة التي انتهجناها في غياب "الرَّقميًّات" والوسائط المتفاعلة هي نفسها التي علينا مزاولتها في حضورها؟

هل تدريس الأدب مثلًا يظلُّ كما كان في القرن الماضي؟ أم عليه التَّلاؤم مع مرغمات الوسائط الجديدة وشروطها، ونحن في بداية القرن الحادي والعشرين؟

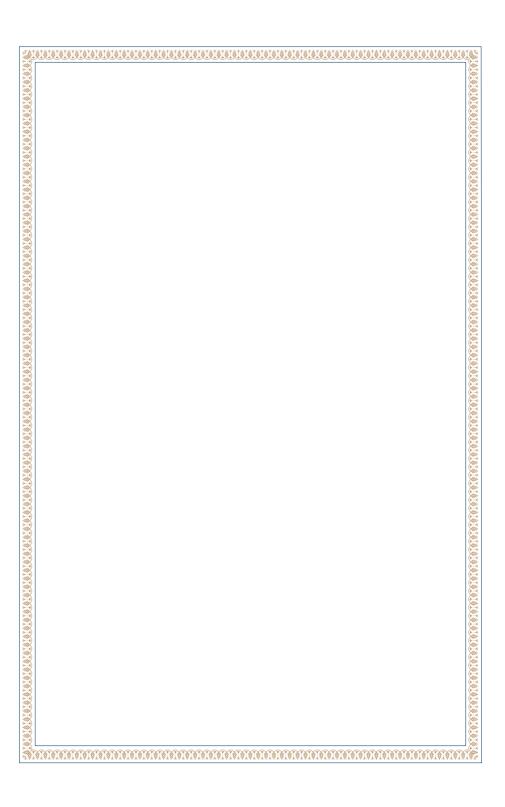
هل حصل تطوُّرٌ حقيقيٌّ؟ أم أنَّه تطوُّرٌ شكليٌّ أداتيّ؟

وفي الختام..

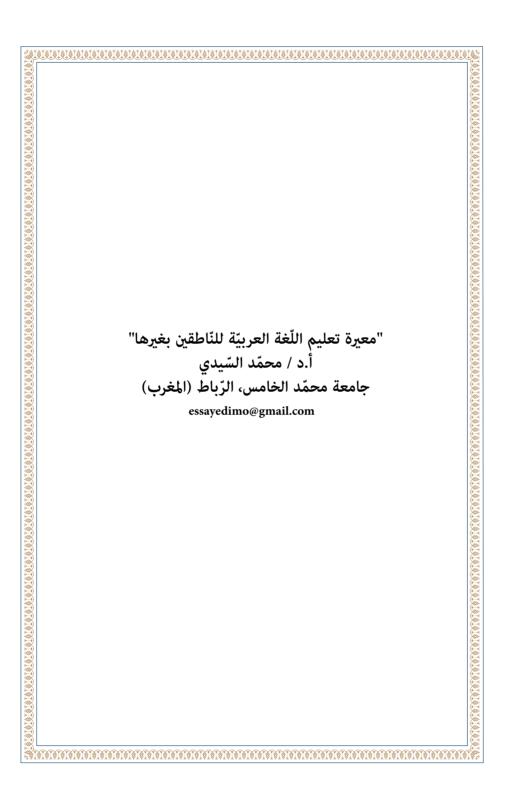
إنّ الثّورة الرّقميّة مكسب تأريخيّ للبشرية جمعاء، وأنّ التّمايز بين الأمم والشّعوب يكمن في مدى الانخراط فيها، أو الإسهام في تطويرها.

إنّها إبدال معرفي جديد على المستويات كافّة، ولابدّ للغتنا العربية اليوم أن تعيش وتسهم في هذا التّحدّي، وتتفاعل إيجابيًا مع الأدبيّات الرّقمية الأجنبيّة قراءةً، واستيعابًا، وترجمةً للأصول التّنظيريّة للثّقافة الرّقمية.











يقتضي تعليم وتعلُّم اللَّغة العربيَّة، وكذا ضبط ووصف الكفاية اللَّغويَّة المروم تحقَّقها لدى المتعلِّم (ة)، وتحديد طرق ووسائل تقويم المكتسبات اللَّغويَّة المحدَّدة للقدرة اللُّغويَّة للمتعلِّم. من أجل ذلك، وبناءً على تجارب سابقة في لغاتٍ أخرى -سواء في أوربًا أو أمريكا- فإنَّنا نقترح أن يراعي في صياغة برامج تعليم العربيّة للنَّاطقين بغيرها:

1 _ تحديد غايات وأهداف ووظائف الإطار المرجعيِّ؛ بالنَّظر لوضع اللَّغة العربيَّة لدى فئات المتعلَّمين المستهدفة، وهو ما يعني ضرورة مراعاة تكوين المتعلَّمين والمتعلِّمات وانتماءاتهم الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، وحاجاتهم لاستعمال اللَّغة العربيَّة؛ نظرًا لاختلاف القدرات الدِّهنيَّة والخلفيَّات الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، التي تؤدِّي دورًا رئيسًا في تحديد القدرات اللُّغويَّة التَّواصليَّة للمتعلِّمن.

2_ تحديد المقاربة التي يمكن اعتمادها، هو ما يعني الاختيار بين النّظر إلى استعمال اللّغة؛ بوصفها نسقًا من العلامات اللّغويَّة تحكمه مجموعةٌ من القواعد ذات الطّبيعة الصُّوريَّة، أو النَّظر إليها بوصفها أداةً للتّواصل والتّفاعل الاجتماعيّ.

فإذا اعتمدنا المنظور الأوّل، لزمنا القول بأنَّ قدرة المتعلِّم (ة) قدرةٌ صوريَّةٌ، يتمُّ تحديدها بالنَّظر إلى معطيات تجد مجالها في الجهاز العصبيِّ للمتعلِّم (ة).

أمًّا إذا تبنَّينا المنظور الثَّاني -أي: القول بأنَّ اللَّغة أداةٌ للتواصل والتفاعل الاجتماعيً، فإنّنا نربط اللّغة بالواقع أو ما يصطلح عليه في الكتابات اللِّسانيَّة بالعالم الخارجيِّ. وفي هذه الحال فإنَّ قدرة المتعلِّم (ة) قدرةٌ تواصليَّةٌ؛ إذ لا يكفي أن يتعلَّم المتعلِّم (ة) قواعد اللّغة. بل عليه كذلك أن يعرف كيف يستعمل اللّغة؛ للتَّعبير عن حاجاته المختلفة، في مواقف تواصليَّة معيَّنة؛ لتحقيق ذلك نعتمد المنظور الأخير؛ لكونه يحقِّق الغاية من هذا الإطار العربيً الموحَّدِ، ألا وهي قياس القدرة التَّواصليَّة للمتعلِّم (ة).

3 _ اعتماد مفهوم المستويات المرجعية؛ ذلك أن تعلم اللغة يتم على مراحل وليس دفعة واحدة. وهو ما يعني ضرورة تحديد درجات الاكتساب لدى المتعلمين. لذلك فإن سلم الدرجات يجب أن يكون قائمًا على التدرج في توصيف كل مستوى من المستويات، بمراعاة حاجات المتعلمين اللغوية، التي يمكن أن تحدِّدها المؤسسات التعليمية المانحة لشهادات تعلم اللغة العربية للناطقن بغرها.

4_ توصيف القدرة التواصلية للمتعلم، وتحديد درجات الارتقاء في تحصيلها بدقة.

5 _ وصف وتحديد عمليات تعليم وتعلَّم اللغة، بالتركيز على العلاقة بين الاكتساب والتعلم، وضبط طبيعة غو القدرة التواصلية لدى المتعلم (ة) وتطورها، بالنظر لسُلَّم مستويات التعلم.

6 _ تحديد طرق وأساليب التقويم، بانتقاء طرق التقويم المعمول بها، وذلك بمراعاة درجة كفايتها.



- أهداف البرنامج ووظائفه:

يتفق دارسو اللغات على القول بأنّ اللغة أداة للتواصل والتفاعل الاجتماعي. اللغة إذن أداة، وإذ هي كذلك، فإن تعليمها وتعلمها يقتضي -من بين ما يقتضيه- ضوابط تكون بمثابة المعيار الذي تقاس به درجات اكتساب اللغة، ومدى تحقق الكفاية اللغوية لدى المتعلم (ة).

ولعل الوسيلة الموضوعية المجردة عن المعلم والمتعلم (ة) -التي يمكن لكل منهما أن يستعملها لاختبار مدى تحقق أهداف التكوين وتحديد مستوى التعلم- هي وضع معايير يتم بها قياس المكتسبات.

إن الغاية إذن، من وضع معايير لتعليم اللغة وتعلمها واختبار المهارات التي يفترض تحققها لدى المتعلم (ة) تتمثل في:

1 _ تحديد قدرات المتعلم (ة) التي تمكن من قياس تطور مستويات التعليم والتعلم على امتداد مراحل التعلم المختلفة.

2_ تقديم أدوات وروائز الممارسين، تعودهم على بناء تصوراتهم وممارساتهم أثناء صياغة البرامج والمقررات الدراسية، وبناء الكتب التعليمية، بما يمكِّن من نجاح العملية التعليمية التعليمية.

3 وضع معايير موضوعية لوصف القدرات اللغوية المروم تحققها لدى المتعلم (ة).

4 _ إبراز وتوضيح أهداف المناهج المقررة ومحتوياتها، وعدد الحصص المخصصة للتدريس والتعلم وللتقويم والدعم بكل دقة، بما يساعد على خلق الظروف الملائمة؛ لنجاح العملية التواصلية بن الأطراف المعنية بالتعليميَّة والتعلُّميَّة.

ولتحقيق هذه الأهداف نرى من الضروري اعتماد منهجية صارمة؛ لوصف ومعالجة القدرة اللغوية في تعقد مظاهرها؛ وذلك بتجزيئها إلى مكوناتها الدنيا، ومراعاة تعالقاتها ما هو نفسي وما هو بيداغوجي؛ ذلك أن عملية التواصل اللغوي تتفاعل فيها جميع هذه المكونات.

إن الملكات المكونة للقدرة اللغوية -التي يتم عزل بعضها عن بعض- تتفاعل بصورة يطبعها التعقيد، وهو ما يجعل كل فرد شخصًا مستقلًا قامًا بذاته مختلفاً عن الآخرين. فكل فرد يقيم في اليوم عددًا هائلًا من العلاقات مع الآخرين، تتقاطع فيها المصالح المشتركة؛ مما يؤدي إلى تكوين هوية الفرد والمجتمع من منظور ثقافي.

إن أحد أهم أهداف برنامج تعليم وتعلم اللغة العربية لغةً ثانيةً يكمن في مدى قدرته على تمكين المتعلم (ة) من تطوير معارفه اللغوية بشكل يطبعه الانسجام.

وإن المعرفة الجيدة للغة بكل مستوياتها هي التي ستمكِّن من نجاح العملية التواصلية، كما أن من شأنها أن ترز مظاهر الفعل والتفاعل بن الأفراد والجماعات.



- التصور أو المنظور النظري: مفاهيم أساسية:

إن صياغة برنامج لتعليم وتعلم اللغة يقتضي في الوقت ذاته وضع إطار يقوم على مؤشرات لقياس وتقويم المهارات والمدارك اللغوية، والذي يجب أن يتسم بالوضوح والانسجام، و أن يتوافق و
مُثُلِّ مظاهر استعمال اللغة.

لذلك نرى ضرورة اعتماد منظور بيداغوجي ذي أبعاد تفاعلية، يراعي -أول ما يراعيه- مستعمل اللغة؛ بوصفه فاعلًا اجتماعيًّا، ينجز مهام وأفعال لغوية، في مواقف تواصلية معينة، تحكمها ظروف زمانية ومكانية، في إطار مجال معرفي أو مهنى ما.

نكون بصدد مهام أو أفعال في حال وجود وقائع يوظف المتكلم لإنجازها القدرات/ الملكات التي اكتسبها من أجل تحقيق هدف أو أهداف معنة.

إن المنظور التفاعلي يراعي -إذن- المعطيات المعرفية، والأحاسيس الإدارية، ومجموع المهارات والكفاية التي عتلكها مستعمل اللغة.

يقودنا اعتماد ما تقدم إلى القول بما يأتي:

المفاهيم تعريفها

1_ القدرة مجموع المعارف والسلوكات التي تمكن مستعمل اللغة من إنجاز الأفعال اللغوية
 التى يقتضيها المقام.

2_ الملكات العامة

مجموع الملكات التي تكوّنُ القدرة التواصلية للمتكلم المستمع، أو ما يعرف كذلك بمستعمل اللغة الطبيعية وهي:

- الملكة اللغوية:

تتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على إنتاج وتأويل عدد لا متناه من العبارات اللغوية -بسيطة كانت أم معقدة- في مواقف تواصلية مختلفة.

- الملكة المنطقية:

تتحقق إذا كان مقدور المتكلم أن يشتق معارف جديدة من معارف مكتسبة، بواسطة قواعد استدلالية، تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي، والمنطق الاحتمالي.

- الملكة المعرفية:

تتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على تكوين رصيد معرفي، وقادرًا على أن يشتق معارف جديدة من عبارات لغوية مختلفة، وعلى تخزينها؛ لاستعمالها في تأويل عبارات جديدة.

- الملكة الإدراكية:

تتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على إدراك محيطه، وعلى اشتقاق معارف منه، تساعده في إنتاج عبارات لغوية.

- الملكة الاجتماعية:



تتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على توظيف معارفه ومكتسباته اللغوية؛ في تحقيق أغراض تواصلية معينة.

- 3 _ المهارات اللغوية مهارة الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة.
 - 4_ الكفاية اللغوية

الكفاية اللغوية معرفة باللغة، وتوظيف للحصيلة اللغوية، واستعمال لها في مواقف متعددة؛ وتتحقق هذه الكفاية اللغوية في مستوين:

_ المستوى الأول:

يختص بتعرف أحكام رسم الحروف، واستظهار قواعد اللغة العربية والإملاء، ونظامها الصوتي، وأنساقها الصرفية، وأنهاط نَظم الجمل، ودلالات الألفاظ، وأساليب التعبير، واستعمالاتها المختلفة.

_ المستوى الثاني:

يخص تحقق القدرات والمهارات شفويًا وكتابيًا؛ باستعمال القواعد النحوية والصرفية، والمعجم، والتراكيب، والأساليب؛ بحسب مقتضيات الوضعيات التواصلية.

 5_ الكفاية التواصلية قدرة المتعلم (ة) على استعمال اللغة وتوظيفها -نطقًا وكتابةً- توظيفًا سليمًا، في مختلف الوضعيات التواصلية.

6_ السياق مجموع العناصر المحيلة على موقف تواصلي معين، أو ما يعرف كذلك بظروف إنتاج الخطاب (الزمان، المكان، الموضوع/ المجال، المتدخلون...).

7 _ الأنشطة

والممارسات اللغوية عمليات تستلزم تفعيل القدرة التواصلية التي يمتلكها مستعمل اللغة، سواء لإنجاز نصوص معينة، أو فهمها في مجال معرفي معين.

8 _ الصيرورات اللغوية يراد بها مجموع الوقائع العصبية والفزيولوجية التي تسهم في إنتاج أو فهم خطاب مكتوب أو شفوى.

9 _ النصوص كل قطعة من خطاب (شفوي/ مكتوب) في مجال معرفي معين، تعالج موضوعًا، أو تعبر عن وجهة نظر معينة، باستعمال اللغة.

10 _ المجال المعرفي يراد به كل جزء من الحياة الاجتماعية، حيث تتحقق إنجازات المتعلم/ المتدخل، مثل:

المجال التربوي، والمجال المهني، ومجال الحياة العامة، ومجال الإنتاج الخاص... إلخ.

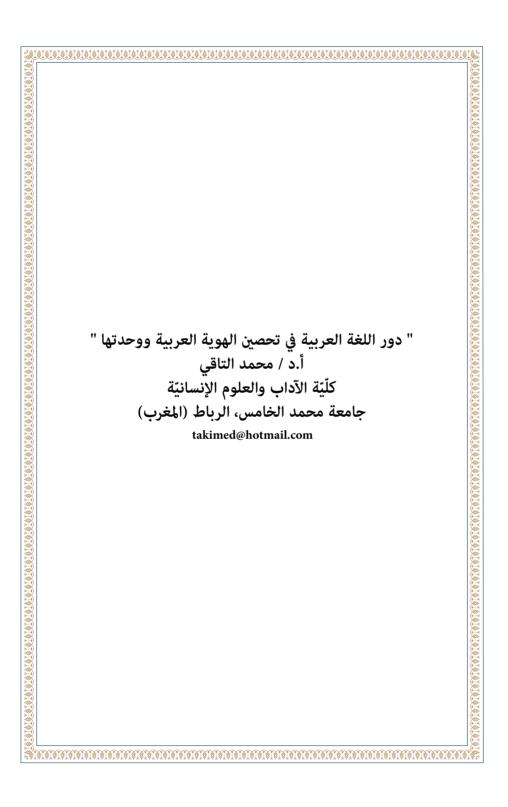
11 _ الاستراتيجيات كل العمليات و السلوكات اللغوية وغير اللغوية، التي يوظفها مستعمل اللغة حال إنجاز أنشطة أو أفعال لغوبة.

12 _ الأنشطة اللغوية نعني بها كل العمليات المعبرة عن نية أو قصد مستعمل اللغة، التي يراد منها تحقيق نتائج تساعد في حل أو معالجة موضوع أو مشكل، أو إنجاز فرض أو



واجب ما.
كأن يتعلق الأمر بكتابة رسالة، أو التفاوض بخصوص إبرام عقد، أو ترجمة نص من لغة إلى لغة أخرى.
إذا كنا نفترض ضرورة وجود هذه الأبعاد في كل عملية تواصلية عادية، فإننا - في الوقت نفسه- نرى ضرورة استيفائها في كل فعل تعليمي أو تعلمي.







مقدِّمة:

حظيت علاقة "اللغة" أبالهوية باهتمام بالغ على مر العصور؛ وهذا الاهتمام ليس ببديع عصرنا، فمنذ أن وُجِد الإنسان على وجه البسيطة وهو يولي مكانة خاصة لهذا الكائن (اللغة) الذي يُحكّنه من التواصل مع بني جنسه داخل عشيرته، ومن استيعاب المحيط الذي يعيش فيه بمختلف مكوناته وتعقيداته. وقد ظهرت أبرز مظاهر التفكير في اللغة عند الإغريق؛ إذ شغلت حيزا ضافيًا في مباحث التفكير الفلسفي عند الفلاسفة اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو...

وبلغت هذه العناية والمكانة أوجهما لما ارتقى الإنسان بلغته إلى درجة أضحت معها ملكية جماعية يُعنع المساس بها؛ إنها تمثل الهوية، والانتماء، والانتساب العرقي والجغرافي والحضاري.

لقد أصبح استهداف "اللغة" في الصراع بين الجماعات هدفا استراتيجيا؛ فالتَّمَكن من "لغة" جماعة/ شعب ما يُمَكّن من التعرف بعمق على هذا الشعب ثقافيا وفكريا وحضاريا (المعتقدات والتقاليد)، ويُيَسِّر التسلط والهيمنة عليه، خاصة إذا كانت الغاية من هذا التمكن هي بلوغ هذا الغرض الاستراتيجي. لذا نجد البعثات التبشيرية والحملات القبلية لأى غزو تضع ضمن أولوياتها المعرفة اللغوية للشعوب المستهدفة.

وقد شكًّل إشكال تحديد هذه العلاقة وضبطها (علاقة "اللغة" بـ: "الهوية") مادة خصبة للدراسة والتعمق الفكري لمشارب معرفية وفكرية مختلفة: فلسفة، ودين، وعلم اجتماع، ولسانيات، وإيديولوجيا. ونَجَم عن هذا التعدد في زوايا دراسة هذه العلاقة تعددًا في إصدار تصورات واستنتاجات بشأنها. وهي تصورات عالمة في مجملها، سواء اتفقنا معها أو اختلفنا. وقبل أن نعالج وجوه العلاقة الممكنة الجامعة بين "اللغة العربية" و"الهوية العربية"، سنعرض بعجالة، في الفقرة الأولى من هذا البحث أهم المواقف التي صدرت عن الدراسات التي عالجت هذه القضية في القرون الأخيرة (منذ القرن الثامن عشر الميلاديً) دون العودة إلى الدراسات القدمة.

أما الفقرة الثانية، فسنخصصها للترابط الذي يجمع "اللغة العربية" بـ: "الهوية العربية". وسنختم بحثنا بوضع ملامح تصور في شكل توصية لتجديد ترسيخ هذه العلاقة بالنسبة إلى الأمة العربية.

1. اللغة والأمة وجهان لعملة واحدة:

يكاد يتفق مؤرخو البحث اللغوى على أن "مسألة علاقة اللغة بالشعب الذي يتكلمها" قد



 ^{1. -} سنستعمل في الفقرة الأولى من هذا البحث مصطلح "اللغة" عوض مصطلح "اللسان"؛ من أجل تفادي أي تعقيد في الفهم لدى القارئ؛ لاعتياده استعمال المصطلح الأول في معظم الأحيان، وإن كنا على مستوى المقاربة العلمية نرى أن المصطلح الثاني هو الأكثر دقة وتحديدًا لما نقصده.

ونظرًا إلى ضيق الحيز المخصص لنا هنا، لن ندخل في تفصيل التحديد العلمي للمصطلحين. وللوقوف على بعض جوانب هذا التحديد نحيل القارئ على بحثنا: "اللسان العربي واللغات العربية والتحديات الراهنة" المنشور بالكتاب الجماعي "مستقبل اللغة العربية"، 2015.

طُرحت بشكل صريح وواضح عام 1757م أ. وهي السنة التي أقامت فيها أكاديمية العلوم ببرلين مباراةً حول الموضوع انطلاقًا من طرحها للتساؤل الآتى:

"ما هي التأثيرات المتبادلة بين آراء الشعوب واللغة؟" وبعبارة أدق:

"ما هي تأثيرات مواقف الشعوب وآرائها في اللغة، وما هي تأثيرات اللغة في آراء الشعوب؟". وقد كان للفكرة/ الأطروحة التي صاغها الفيلسوف الألماني "هيردر" [Herder] سنة 1770م، -المتمثلة في كون "نظام اللغة الوطنية لشعب ما، هي التي تُكَوِّن رؤيته للعالم وتحدده"- الأثر البالغ في توجيه بعض تيارات فلسفة اللغة التي جاءت بعده، نظرًا إلى جِدَّتها وحداثتها بالنسبة إلى عصرها، وهو ما دفع العديد من المفكرين والباحثين في هذا المجال إلى تبنيها والتسليم بها.

ومن أبرز الأفكار التي تضمنتها هذه الأطروحة نجد "أن اللغة ليست أداةً للفكر فقط؛ بل هي أنضًا خزًّان للفكر، وشكل له".

فكون اللَّغة خزان [Store] للفكر، يعني أن تجارب الأجيال ومعارفهم تتجمع فيها، وهي وحدها الكفيلة بنقلها من جيل إلى آخر. فاللغة -بكل ما تحتويه من معارف وتجارب متكلميها- تؤدِّى دورًا أساسًا في الربط بين ماضى ذلك الشعب وحاضره ومستقبله.

أمًّا عدُّها شكلًا أو صورةً للفكر [Forme]؛ فذلك يرجع بالأساس لكوننا لا نفكر داخل اللغة وحسب، بل إننا لا نفكر إلا بواسطتها؛ أي أنه لا وجود للفكر خارج اللغة.

بهذا تصبح اللغة التي يتكلمها شعب ما هي -بطريقة أو بأخرى- حدود مرسومة لفكره. إنها شكله وصورته و-في الآن نفسه- حصاره.

فالفكر "هو مجموع التجارب والمعارف التي تكتسبها الأمة"، و"اللغة هي القالب العام للعلوم الذي فيه ومقتضاه تُرسم الأفكار" -على حد تعبير "هيردر"- $^{\hat{}}$. وبهذا تعد اللغة والفكر، وفق هذا الطرح، وجهان لعملة واحدة، فكل أمة تتكلم كما تفكر، وتفكر كما تتكلم، وبعبارة واحدة: إن اللغة هي مرآة الأمة. وبناءً عليه، تصبح اللغة هي المحدد الأساس لهوية أمة ما.

وقد عرفت أفكار "هيردر" تطورًا مهمًّا على يد الفيلسوف الألماني "هومبلدت" [Humboldt]، الذي صاغ تصورًا فلسفيًّا، يمزج بين الفكر الكانطي والفكر الهيرديري، والفكر الهيجلى.

وقد انطلق "هومبلدت" من فكرة: "اللغة مرآة للأمة"؛ لإعطائها بعدًا أعمق؛ فكل لغة تحمل رؤية للعالم، واللغة هي شكلٌ وصورةٌ لفكر الأمة التي تتكلمها. إن "كل شعب يتكلم كما يفكر، بمعنى أن نمط وصورة فكره تتجلى من خلال نمط وصورة كلامه".

وقد توصَّلَ إلى هذا الاستنتاج؛ انطلاقًا من اعتباره اللغةَ قُوَّةً فاعلة وليست مجرد مُنتَج،

[.] آدم شاف Adam Schaff، 1969، ص17.

^{2.} المرجع نفسه، ص18.

مؤكدًا بذلك دوام حركية اللغة. معنى أن اللغة تعيش دينامية مستمرة. ويقصد باللغة كل اللغات البشرية دون أي تهييز، حتى تلك التي ننعتها بـ: "اللهجات".

وإذا سلمنا بما أورده "هومبلدت"، فإننا سنخلص إلى أن اللغة هي مرآة لتاريخ الشعب وتقلباته، وأفراحه، وأحزانه. إنها الانعكاس الصادق لعقلية متكلميها، وهي العضو الذي يشكل (يصنع) الفكر، زيادة على كونها تعبر عن الروح والعقلية الوطنية وتصورها في أكثر خصوصياتها، عبر إبراز رؤية العالم الخاصة بالعشيرة الوطنية. فاللغة -في نظره- هي التمظهر الخارجي لروح الأمة. فروح الأمة تكمن في لغتها.

تبرز هذه الدراسات والمقاربات الفلسفية -التي عنت بعلاقة اللغة بالأمة- تداخلًا كبيرًا بينهما: فاللغات تصنع الأمم، والأمم تصنع اللغات. وأهم ما تتسم به اللغة على المستوى المعرفي؛ هو أنها ليست وسيلة لتمثيل واقع معروف (أو خاص) فقط، بل، أكثر من ذلك، هو أنها وسيلة لاكتشاف واقع غير معروف مسبقًا، وأيضًا بناء واقع مرتقب. وبناءً عليه، لا يمكن إرجاع اختلاف اللغات إلى اختلاف الأصوات والدلائل فقط؛ بل إلى اختلاف الرؤى للعالم.

وستعرف هذه الأفكار تطورًا ملحوظًا عندما ستهاجر إلى القارة الأمريكية حيث قام كل من وورف Worf وسابير Sapir بوضع فرضية حملت اسميهما (فرضية وورف-سابير (فرضية كالمنابع المعتمعات يرتكز أساسًا على اللغة؛ إذ لا يمكن أن قيام المجتمعات يرتكز أساسًا على اللغة؛ إذ لا يمكن أن يوجد مجتمع بدون لغة؛ لأنه «لا يمكن أن توجد علاقات اجتماعية حقيقية في غياب اللغة». كما أن مجرد امتلاك أفراد للغة معينة يعني بشكل من الأشكال توحدهم وتضامنهم وانصهارهم في بنية مجتمعية.

وبعد هذا الاطلاع السريع على هذه الرؤى الفلسفية بشأن علاقة "اللغة" بـ: "الأمة"، ومدى انعكاس رؤية الأمة للعالم عبر لغتها، يحق لنا أن نتساءل -وفق ذلك- عن العلاقة التي تجمع "اللغة العربية" بـ: "الأمة العربية"، وعن أشكال الترابط الموجودة بين بناء "اللغة العربية" وهو يتها؟

إنها أسئلة شديدة التعقيد، وتحتاج إلى دراسات شتى ومعمقة. ولكننا سنعمل فقط، في الفقرة الموالية، على تسطير بعض المسارات التي يمكن أن تساعد على تدقيق الرؤى بهذا الشأن.

2. "لغة عربية" من أجل "هوية عربية":

إن نشر تعاليم الدين الجديد، وتعليم أحكامه في صدر الإسلام كان يتوقف أساسًا على تعليم المادة المعتمدة في تجسيده وتصويره، ونقصد بها "اللسان العربي" أ.



^{1. -} لم يرد لفظ "لغة" في القرآن الكريم بل ورد لفظ "لسان"، نحو:

⁻ قوله تعالى في سورة الشُّعراء: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرينَ بِلِسَان عَرَبِيٌّ مُّين ،

⁻ وقوله في سورة النَّحل: ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾،

⁻ وقوله في سورة إبراهيم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. وهناك من يزعم أن لفظ "لغة" هو لفظ دخيلٌ وغير عربي الأصل. هذه الأمور تحتاج لدراسات معمقة، وآمل أن نجد من يقوم بها من باحثينا الشباب.



فهذا اللسان كان يتشكل قديمًا من "لغات عربية" أ؛ إذ كانت كل لغة تنعت باسم قبيلتها: لغة قريش، ولغة قيم، ولغة هوازن، ولغة ربيعة، ولغة أسد... وهو واقع الحال اليوم. فلساننا العربي هو الوعاء الذي يحوي كل المنوعات العربية التي يستعملها المتكلمون بالعربية.

ونزعم أن مصطلعًا مثل "لغة العرب" أو "اللغة العربية" لم يكن موجودًا في فترة فجر الإسلام. فهذان المصطلحان، -بحسب ما توصلنا إليه- لم يكونا متداولين في مرحلة ما قبل الإسلام، أو في فجر الإسلام، بل ظهرًا إبَّان فترة توحيد القبائل العربية وغيرها؛ لأجل بناء "الدولة"، تحت لواء الخلافة الإسلامية.

وهذا أمر طبيعي جدًّا؛ إذ تفيدنا النظرة التاريخانية أنه من أهم دعائم بناء الدول عبر التاريخ "الدعامة اللغوية"؛ لذا نعتقد أن القائمين على شأن بناء الدولة في هذه الحقبة استوعبوا عمق هذه الدعامة وضرورتها، ولذلك وجهوا عنايتهم للوضع اللغوي العربي المتصف بالتوزيع والتنوع القبلي؛ لكي ينتجوا منوعة لغوية [Variété linguistique] توحِّد كل القبائل، ولا تنتمي لقبيلة بعينها.

إنها "الكلام" الذي تحدث عنه أبو الأسود الدؤلي (ت69ه) حين قال: «"إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلامًا.."، و"العربية" التي أمره بوضعها عبيد الله بن زياد، كما نقرأ عند السيرافي: "روى محمد بن عمران بن زياد الضبّي قال: حدثني أبو خالد، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش بن عاصم، قال: جاء أبو الأسود الدّيلي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية، فأبى. قال فأتاه قوم، فقال أحدهم: "أصلحك الله، مات أبانا، وترك بنون"، فقال علىّ لأبى الأسود: "ضع العربية"» ألم أصلحك الله، مات أبانا، وترك بنون"، فقال على لأبي الأسود: "ضع العربية"» ألم ألم المناسود: "ضع العربية"» ألم ألم الأسود: "ضع العربية"» ألم ألم الأسود: "ضع العربية"» ألم ألم المناسود المناس المناس

نستشف من ذلك أن هذه العربية التي وصفت لاحقا ب"الفصحى" أو "الفصيحة" موضوعة. وهذا الأمر غير مستغرب إذا أمعنا النظر جيدًا في كتاباتنا التراثية، ولم ننزو فقط في تتبع خطوات وضع "النحو" واستنباط الأقيسة. فوضع النحو اعتمد مادة لغوية. وهذه

أ. قبل هذه الفترة -أي فترة ما قبل مجيء الإسلام- كان العرب يتوزعون على قبائل مختلفة. وكان لكل قبيلة من هذه القبائل عربية خاصة بها، يكتسبها أفراد العشيرة بالسليقة. وقد سمى اللغويون العرب هذه اللغات بتسميات القبائل المتكلمة بها. إلا أن هذه العربيات كانت تتقاسم العديد من الخصائص وتتمايز في أخرى. ولكن بحكم المصالح المشتركة بين هذه القبائل، والعصبية التي تجمعها، كانت هذه القبائل -للتواصل في ما بينها- تنجز منتجات لغوية تعتمد أساسًا ما هو متقاسم ومشترك. خاصة على المستوى العالم (الخطابة والشعر مثلًا).

أما في الحياة اليومية العادية، وعلى المستوى التواصلي الداخلي للقبيلة، فإن كل قبيلة كانت تتواصل بعربيتها. وقد علم اللغويون العرب هذه الخصائص المميزة لهذه القبائل، لدرجة أن سموا هذه الظواهر بأسماء قبائلها. فعلى سبيل المثال: يورد لنا ابن جني في كتابه "الخصائص"، باب "اختلاف اللغات وكلها حجة"، (ج2، ص13)"، على لسان ثعلب الآتي: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء". فهذه ظواهر لغوية تمييزية كبرى بين العربيّات التي كانت متداولة في ذاك العصر.

ولكن لا نعلم باقي الظواهر التمييزية الأخرى على مختلف المستويات اللسانية: الأصوات، والصواتة، والصرافة، والتركيب، والدلالة،... ولن نفتح باب تفصيل هذه القضايا هنا؛ لضيق الحيز المتاح، ولكن الذي يهمنا بالأساس هو أن العربية لم تكن لغة بصيغة المفرد، وإنما كانت لغات بصيغة الجمع. بعنى أنه لم تكن لدينا عربية واحدة وإنما عربيات. وما "العربية الفصيحة" أو "العربية الفصحى" -التي تم إحداثها باعتماد المشترك بين بعض هذه العربيات-إلا منوعة عربية جديدة أضيفت إلى هذا التشكيل. فهي منوعة لا تُكتسب بالسليقة، ولكن تُتعلم وفق الضوابط الموضوعة.

^{2.} ينظر: السيرافي، أخبار النحويين العرب، ص12-13.

المادة اللغوية هي المعطيات التي جمعها الرواة من مختلف القبائل التي اعتمدت عربيتهم (قريش، وقيس، وأسد، وهذيل...).

وهذا التجميع اللغوي يعني بالضرورة عدم انتماء المادة المجموعة لقبيلة بعينها. بل ستصير هذه المادة المجموعة ملكية جماعية لكل القبائل. وبناءً عليه تعين على كل القبائل الامتثال لها ولقوانينها. وهذا الامتثال يتم عبر تعلمها وتعليمها واعتمادها لغة رسمية؛ لأنها تعكس -ليس فقط- تجميعًا لغويًّا، وإنها تجمُّعًا وانصهارًا قبَليًّا في منظومة الدولة. فهذه العربية ليست عربية قبيلة، بل هي عربية الدولة.

ووصف محمد عابد الجابري هذا "الوضع" لهذه "العربية" في كتابه "تكوين العقل العربي" بـ: "المعجزة" حين قال: «وهل المعجزة شيء آخر غير "خرق العادة؟».

ثم هل هناك "خرق للعادة" أبلغ وأعمق من تلك السرعة التي تم بها الانتقال بلغة قائمة على "الفطرة والطبع"، لغة لا يمكن تعلمها ولا فهمها إلا بالعيش وسط القبائل التي تتكلمها، إلى لغة قابلة لأن تكتسب وتتعلم بنفس الطريقة التي يكتسب بها العلم".

ليخلص إلى أن «كل ذلك لا يمكن أن يوصف بأقل من إنشاء علم جديد هو علم اللغة العربية، لا بل إنشاء لغة جديدة هي اللغة العربية الفصحى». أ

وبعد إشارته إلى عدم أهمية السبب أو الأسباب التي أدت إلى قيام هذا النشاط الفكري، قال: «ولا يمكن للمرء إلا أن يزداد إعجابًا وتقديرًا لهذا العمل العظيم، حينما يأخذ بعين الاعتبار المدة الوجيزة التي تم فيها إنجازه، والمجهودات الجبارة التي بذلها -طواعية وبدون أجر- رجال ندبوا أنفسهم، وصرفوا من أموالهم، ولسنين طويلة؛ لإنجاز هذه المهمة الشاقة التي لم يكونوا، بالتأكيد، يطلبون من ورائها أي مكسب».

إننا نتقاسم مع الجابري هذا الإعجاب والتقدير، ولكن لا ندري من أين له أن يعلم أن هذا العمل كان "طواعية"؟، وما الحجج التي تجعله متأكدًا من أن هؤلاء الناس "صرفوا من أموالهم" ولم يكونوا "يطلبون من ورائها أي مكسب"؟، خاصًةً إذا علمنا أن النقاش الدائر حول الوضع اللغوي في هذه الفترة كان يتم بين القيادات والمقربين لهم.

إن إحداث هذه "العربية" له ما يبرره، كما أشرنا أعلاه، على مستوى السيرورة التاريخانية. فعبر التاريخ، عندما تحدث تحولات كبرى في منطقة ما تفضي إلى تأسيس "دولة" جديدة بهقومات جديدة (رؤية، واستراتيجية، ونظام، ومرجعيات...) فإنها تحتاج إلى توحيد الأداة اللغوية، وترسيمها، ومعيرتها على أساس أنها ستمكنها من إرساء تلك المقومات، وفرض هذه الرؤية والاستراتيحية.

إن هذه الأداة هي التي تتجسد في "اللسان" الرسمي الذي يجب أن يصبح معتمدا وشرعيا وذا مشروعية.



^{1.} الجابري، محمد عابد، التشديد والتسطير منا، ص80.

ولعل أهم قناة لتثبيت هذه الأداة -بعد ضبطها واستقراء قواعدها- هي قناة التعليم. وفي هذا الشأن يطلعنا بيير بورديو [Pierre Bourdieu] في كتابه "Ce que parler veut dire" بأن الوحدة السياسية لأمة ما تمر أساسًا عبر رسمنة نظام لساني معين، وتقنينه، وفرضه. فاللسان الرسمي وتوحيده، هو واجهة لوَحدة سياسية [Unité politique] بالمعنى المجالي للعبارة.

فلكي تتسم منوعة لسانية ما بالرسمنة والشرعنة فإنه لا بد من فرضها على جميع الأفراد المنتمين للمجال الجغرافي المسيطر عليه، من لدن الدولة الحاكمة للمجال. وجعل هؤلاء الأفراد يعدُّونَها هي الوحيدة التي لها الشرعية والمشروعية للاستعمال في إطار التداولات الرسمية (المراسلات، الخطابات، التوثيق، الفكر، والثقافة...) وأجهزة الدولة وداخل المؤسسات والمجالس؛ لأن هذا الاعتبار هو الكفيل بضمان الشعور بالانتماء إلى هذه الوحدة الاجتماعية والسياسية والعرقية والجغرافية.

ولكي تتم عملية الفرض هاته لابد من ضبط هذا اللسان وتقنينه (وضع قواعد له) ثم نشره عبر تعليمه لأفراد المجتمع. لذا تحتاج الدولة لمتخصصين لوضع قوانين هذا اللسان (النحو)، ونظام إملائي مقنن (الخط)، ووضع أجهزة لتتبع سير عملية إرساء دعائم هذا النظام اللساني عبر "فضح" اللحن و"الأخطاء" التي قد تصدر على الأشخاص الرسميين في المواقف الرسمية ألي يقول بيير بورديو:

«اللسان الرسمي جزء لا يتجزأ من الدولة (...) فسيرورة بناء الدولة تحدث معها شروط تأسيس سوق لسانية موحَّدة وخاضعة لهيمنة اللسان الرسمي. فاستعمال لسان الدولة، يكون مفروضًا في المناسبات الرسمية، وفي المجالات الرسمية (المدرسة، والإدارة العمومية، والمؤسسات السياسية..)؛ إذ يصبح هو المعيار النظري الذي تقاس عليه موضوعيًا جميع الاستعمالات اللسانية الأخرى».

وبناءً عليه، تصبح للنحويِّ سلطة المراقب والمعاقب لكل من لا يحترم قوانين هذا اللسان، وتتجلى هذه المراقبة والعقاب عبر المؤسسة التعليمية، حيث يسهر المعلم والأستاذ على احترام القوانين المنظمة للسان الرسمى، ومعاقبة كل من يقوم بخرقها.

فمعيرة لسان ما وترسيمه تعطيه سلطة يتمكن عبرها من السيطرة على السوق اللسانية التي يروج فيها المنتجات اللسانية. فلا يمكن لمنتج لساني أن يحظى بالقبول والاعتراف والتقدير إلا إذا توافرت فيه شروط السلامة من أي خرق للقوانين المعتمدة في السوق اللسانية التي يطرح فيها.

أن ضادف هذا الأمر في تاريخ دولة الخلافة مع الحجاج بن يوسف الثقافي، إذ جاء في كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان (ص174) أن الحجاج قال ليحيى بن يعمر: خبرني عني هل ألحن؟ فسكت، فقال: أقسمت عليك، فقال: أما إذ سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع، فقال ذلك والله اللحن السيّخ!". فإذا سلّمنا بهذه الرواية، وسلمنا أن الحجاج بن يوسف الثقافي يلحن، فالسوّال الذي يفرض نفسه، هل الحجاج يلحن في عربيته التي اكتسبها بالسليقة أم في العربية التي تعلمها بوصفها اللسان الرسمي؟

وفي الاتجاه نفسه يطلعنا عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الدولة" على أن نابليون بونابارت -وهو ابن الثورة الفرنسية - في سعيه لبناء الدولة الجديدة عمل «على توحيد لغة التلقين والمواد المدروسة. تُدرس كل المعاهد التعليمية بالفرنسية المقعّدة برنامجًا واحدًا، عكس ما كانت تفعله الهيئات الكنسية المختلفة. يرتكز التوحيد التلاحم القومي، فيقوي فعالية الجيش والإدارة، وينمى الاقتصاد، إذ التوحيد اللغوى يوازى نشأة سوق وطنية».

إنه الوضع الطبيعي الذي تعرفه سيرورة تأسيس الدول في تاريخ البشرية. وبناءً عليه، تحدث قايزات بين اللسان الرسمي وباقي الألسن الأخرى التي لم يتم رسمنتها. وتتجلى هذه التمايزات في الهيمنة التي يمارسها حاملو الرأسمال اللساني الرسمي، عبر المنتجات التي يبدعونها بهذا الرأسمال، ويروجونها في السوق اللسانية، المحمية من طرف الدولة عبر القوانين الموضوعة لهذا الغرض. وقد تحدث أيضًا صراعات بين مستعملي اللسان الرسمي ومستعملي باقى الألسن الأخرى، تفضى لتوزيع طبقى لساني داخل المجتمع.

إن المرجعية الأساس لهذا الصراع لا تتمثل فقط في سعي الدولة لنشر اللسان الرسمي ليكون الأداة التواصلية الوحيدة بين جميع مكوناتها، وإنما لفرض الفكر، والثقافة، والمعتقدات، والقيم، التي يحملها هذا اللسان، على باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى ذات نظام لساني مختلف. بمعنى أن الغاية هي أن يصبح المنتسبون للدولة يعترفون بالنظام اللساني الرسمي، وقوانينه، وألفاظه، ومعانيه، واستعاراته.

وبالجملة إن فرض لسان جديد وتعميمه معناه فرض رؤية جديدة للعالم باعتبار كل لسان يحمل رؤية للعالم بتعبير هيردر.

خاتمة:

ما أحوجنا اليوم إلى إرادة حقيقية لتوحيد الأمة العربية من جديد، وتحصين هويتها، وهذا مطلب ليس ببعيد إذا ركزنا الاهتمام على المكون اللساني الذي أدّى هذا الدور، إلى جانب المكون الدينى، على مر العصور.

إننا نعي بشكل كبير أن هذا المكون قد عرف العديد من التطورات والتحولات؛ نظرًا إلى الاحتكاك الذي عرفته العربية في مختلف المحطات التاريخية مع ألسن أخرى، إن بسبب الفتوحات أم بسبب التنقلات للسلطة المركزية في الوطن العربي. وهذه التحولات هي التي تجعلنا اليوم -أكثر من أي وقت مضى- نحمل رؤية مستقبلية، ونشعر بضرورة العمل على بناء عربية معاصرة، تأخذ في الحسبان الإرث اللغوي والحضاري من جهة، والتنوع الواقع بين مختلف الأقطار العربية من جهة ثانية.

وبعد هذا البناء، يأتي السعي إلى تعميمها ونشرها عبر القنوات التعليمية، وفرض الالتزام بالتعامل بها في مختلف المستويات الرسمية (مدرسة، وإدارة، ووسائل إعلام، ومراسلات، وإبداعات ثقافية،...).



إنه مشروع كبير، ويحتاج إلى مجهود جبار، وعمل لساني عميق. ويبقى الأمر متوقفًا على وجود إرادة سياسية حقيقية في الوطن العربي لإنجازه.



المصادر والمراجع:

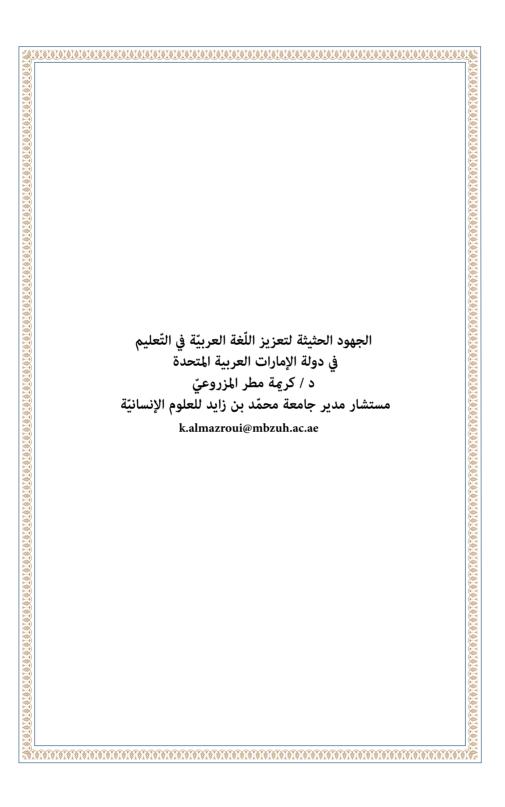
بالعربيَّة:

- _ التَّاقي، محمِّد، اللَّسان العربيِّ واللَّغات العربيِّة والتَّحدِّيات الرَّاهنة، بحث بالكتاب الجماعي: "مستقبل اللُّغة العربيَّة"، تنسيق: محمَّد الدَّرويش، منشورات فكر، الرِّباط، المغرب، د.ط، 2015، (ص151-158).
- _ الجمحي، محمَّد بن سلَّام (ت 231هـ)، طبقات فحول الشُّعراء، تمهيد: جوزيف هل، دراسة: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، 2001.
- _ ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن عبد الله الموصليّ (ت 392هـ)، الخصائص، تح: محمَّد عليّ النَّحَّار، الهيئة المص بَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ط4، 1952.
- _ ابن خلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم البرمكي الإربلي أبو العبَّاس (ت 681هـ)، وفيات الأعبان وأنباء أبناء الزَّمان، تج: إحسان عبَّاس، دار صادر، بروت، د.ط، 1972.
- _ السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت 368هـ)، أخبار النّحويّين البصريّين، تح: طه محمّد الزّيني، ومحمّد عبد المنعم خفّاجي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده عصر، د.ط، 1955.
 - _ العروى، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثَّقافيِّ العربيِّ، ط10، 2014.
- _ العلوي، أحمد، العقلانيّة اللّغويّة العربيّة، منشورات فكر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
- _ ابن فارس، أبو الحسن بن أحمد بن فارس بن زكريًا (ت 395هـ)، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بروت، ط1، 1997.

المراجع الأجنبيّة:

- Bourdieu Pierre (1982), Ce que parler veut dire: L'économie des échanges linguistiques, FAYARD, Paris.
- Schaff Adam (1974), Langage et connaissance, Traduit du polonais par Claire Brendel, col. Point, Edit. Anthropos, Paris.







يحتفل العالم يوم 18 ديسمبر من كلّ سنة باليوم العالميّ للّغة العربيّة، الذي يوافق يوم اعتماد لغة الضّاد ضمن اللّغات الرّسميّة المستخدمة في مبنى الأمم المتّحدة عام 1973. وتُعَدّ اللّغة العربيّة لغة اثنين وعشرين (22) عضوًا من الدّول الأعضاء في اليونسكو، ويتحدّث بها ما يزيد عن 422 مليون عربيّ، ويحتاج إلى استعمالها أكثر من مليار ونصف من المسلمين.

ومن المناسب ونحن نحتفل باليوم العالميّ للّغة العربيّة أن نعرض عددًا من المبادرات التعليميّة التي وجِّهت لشركاء منظومة التّعليم في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة.

وقد تضمّن ذلك مشروعات ومبادرات استراتيجيّة على مستوى القيادة التّربويّة، أبرزها:

- _ استراتيجيّة اللّغة العربيّة 2020.
- _ استراتيجية القرائيّة (حملة أبوظبي تقرأ).
 - _ برامج تدريب المعلِّمين.
 - _ برامج المدرِّب اللّغويّ.
 - _ برامج أولياء الأمور.
 - _ المعسكرات اللّغويّة الصّيفيّة للطّلّاب.
- _ أنشطة منظّمة تربويّون بلا حدود خلال 2019.

وجاءت كلّ تلك الإسهامات من اهتمام القيادة الرّشيدة المتنامي باللّغة العربيّة، وتدريسها، وعرض أفضل الممارسات بها، خاصّة وأنّ اللّغة العربيّة أساس الهويّة، وبها يرتبط الطّالب بالمجتمع والتّاريخ.

وظهر اهتمامنا بهذا أثناء عملنا المختلف باللّغة من خلال عرض التّدريب المهنيّ المستمرّ للمعلّمين، وتزويد المدارس التّعليميّة بالمصادر والمراجع الدّاعمة لمعايير التّعلّم، وحقيبة "ألفباء الإمارات"، ومبادرة "أبوظبى تقرأ"، وملتقى "معلّمى اللّغة العربيّة وغيرها".

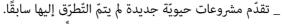
_ استراتيجيّة اللّغة العربيّة 2020:

إنّ تصميم وبناء استراتيجيّة اللّعة العربيّة 2020، أولى المشروعات الاستراتيجيّات التي تمّ بيانها خلال العرض.

مميِّزات الاستراتيجيّة:

- ما عِيِّز الاستراتيجيّة أنّها:
- _ مبنيّة على البحث العلميّ، الاستقصاء، والاجتماعات مع المعنيّين من المعلّمين وأولياء الأمور والمؤسّسات والباحثين.
 - _ شموليّتها في تناول جميع عناصر العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة.
- _ تتكامل مع جهود دائرة الثّقافة والسِّياحة والاستراتيجيّة الجديدة التي أطلقتها هيئة اللّغة العربيّة. العربيّة واعتمدها سموّ الشّيخ خالد بن محمّد زايد -حفظه الله- في تعزيز اللّغة العربيّة.





_ تتكامل مع الجهود الحالية للمؤسّسات المحلّية.

_ الاستراتيجيّة القرائيّة (حملة "أبوظبي تقرأ"):

من ضمن المشروعات التي تم عرضها "حملة أبوظبي تقرأ"، وهي حملةٌ تنظّم سنويًا من قبل مجلس أبوظبي للتّعليم، وتهدف إلى تعزيز ثقافة القراءة بين الطّلبة والمعلّمين وأولياء الأمور والمجتمع بشكلٍ عامً؛ للوصول إلى هدف: وهو أن يكون كلّ طالب قارئًا مستقلًا مع نهاية الحلقة الأولى.

يقوم مشروع "أبوظبي تقرأ" بتعريف المعلّمين إلى أفضل الممارسات في تعليم القراءة، وذلك من خلال التنمية المهنيّة للمعلّمين، ويستفيد الطّلبة من المجموعات الواسعة من الأنشطة الفعّالة، التي تدور حول القراءة، التي تقام في أماكن مختلفة؛ ممّا يتيح لهم فرصًا تعلّميّة خارج الصّفّ الدِّراسيّ وداخله. بالإضافة إلى تعريفهم بأهم المؤلّفات المناسبة لهم ولميولهم. ترعى الحملة مواهب الطّلّاب في الكتابة والرّسم والتّمثيل؛ لعرض قدراتهم في القراءة والكتابة فهناك أنشطة على مستوى المدرسة والصّفّ والطّلّاب، تدعم وليّ الأمر من خلال توعيته بالقراءة وأهميّتها، تزيد الوعي المجتمعيّ من خلال الأنشطة المختلفة التي تقام داخل المراكز التّجاريّة والمكتبات العامّة والحدائق، كما تضمّن الحملة وصول الكتب من خلال المكتبات المتنقّلة إلى جميع مناطق الإمارة لنشر الوعي.

مميِّزات المبادرة: وما عيِّز تلك المبادرة:

_ المبادرة بدعم الشِّيخ عبدالله بن زايد -حفظه الله-، دشَّنها مجلس أبوظبي للتَّعليم سنة 2013م.

- _ حملة وطنيّة تُعقّد كلّ عام لمدّة أسبوعين وتستهدف بذلك كافّة مدارس رياض الأطفال ومدارس الحلقة الأولى في إمارة أبوظبي.
- _ يشارك في المبادرة المعلِّمون والمُتعلِّمون وأولياء الأمور ومؤسِّسات التَّعليم العالي والخرِّيجون الجُدد والقطاع الخاصِّ.
- _ تتبنَّى المبادرة فكرة أنّ للقراءة أربعة أغراض رئيسة: المتعة، والإلهام، والمعرفة، ومنح الفُرَص.
- _ حصلت المبادرة على تكريم من الشَّيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم-حفظه الله- كأفضل مبادرة في خدمة القراءة.
 - _ حصلت على جائزة جينيس كأكبر تجمُّع طلَّابيِّ للقراءة.
 - _ مازالت مستمرّة حتَّى الآن بشكلٍ مختلف.
 - _ شملت تدريب جميع رؤساء أقسًام اللُّغة العربيَّة في أبوظبي.
 - _ تمَّ استضافة مؤلّفة كتاب "الخصال السّتّ في الكتابة لتدريب المعلِّمين".



_ برامج تدريب المعلِّمين:

وهو مشروع من المشاريع الاستراتيجيّة التي عملنا عليها كذلك مشروع استراتيجيّ لخدمة اللّغة العربيّة، وهو وضع معايير تدريس اللّغة العربيّة من مرحلة رياض الأطفال للمرحلة الثّانوبّة. ومن منزات تلك المعابر أنّها:

- _ تراعى جميع المعايير ونواتج التَّعلُّم وثقافة دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة.
 - _ مبنيَّة على أساس علميّ وبحثيّ.
 - _ تصميم تدريب المعلَّمين.
 - _ تصميم لقاءات ودليل لأولياء الأمور توضِّح المفهوم الجديد.
 - _ بناء مصادر ومراجع ورقيَّة وإلكترونيَّة.
- _ موازاة المعايير العربيَّة مع ما يوازيها من معايير اللُّغة الإنجليزيّة لنفس المرحلة.
 - _ تصميم تقويم موازِ.

_ مشروع "حقيبة ألف باء الإمارات":

وهو مشروع يربط تعلّم اللّغة العربيّة بالهويّة الإماراتيّة، وهو الأوَّل من نوعه في المنطقة. وقد تمّ تصميم وتطوير حقيبة (ألف باء الإمارات) باللّغتين العربيّة والإنجليزيّة؛ لمساعدة الطَّلبة في دعم أساسيًّات تعلّم القراءة، في سياقات تعبِّر عن عادات ودين وثقافة دولة الإمارات العربيَّة.

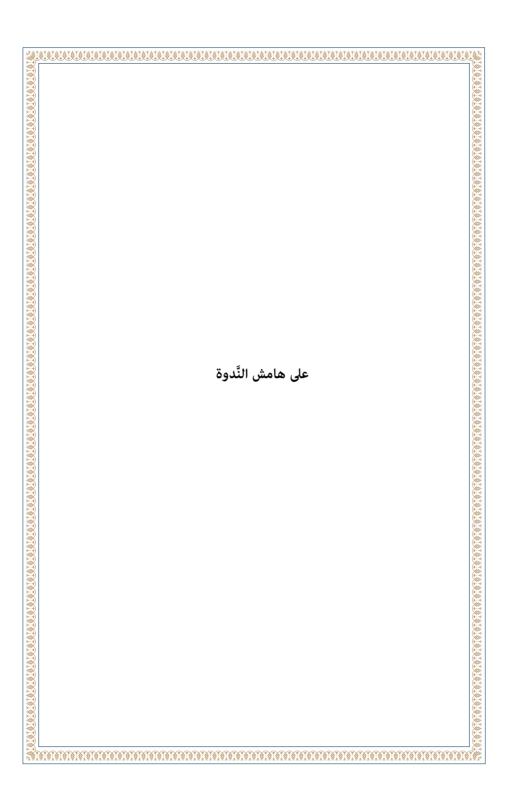
ويتمُّ تقديم الحروف الأبجديَّة عبر الحقيبة من خلال تمثيلات فنيِّة معروفةٍ من الحياة في دولة الإمارات العربيّة المتَّحدة.

تحتوي الحقيبة على استراتيجيّات تربويّة حديثة لمعلِّم صفِّيّ الرّوضة والصَّفَّين: الأوَّل والتَّانِي في تعلّم الحروف، الكلمات البصريّة، أساسيّات القراءة، تعلّم الأصوات والكتابة.

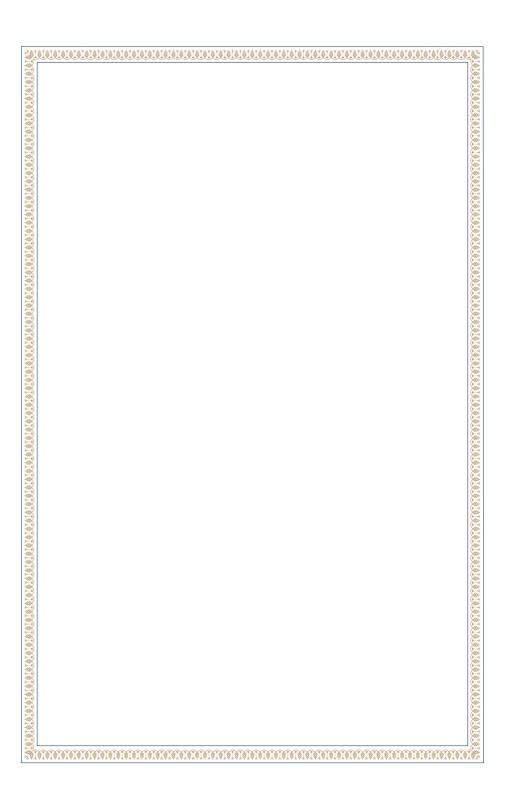
كما يقدِّم أنشطةً من خلال البطاقات التعليميّة والكتب التي يمكن قراءتها في المدرسة أو البيت. وتُعدُّ الحقيبة الأولى من نوعها، التي تربط تعليم أساسيّات القراءة بثقافة دولة الإمارات العربيّة المتَّحدة، تحتوي على نتائج بحوث رصينة خاصّة بالكلمات البصريّة الأولى، وقصص القراءة المتدرِّجة والتي يندر وجودها حول الإمارات، تربط القراءة بالكتابة كبرنامج متوازنٍ، تقدّم استراتيجيّات حديثة للمعلِّم ووليّ الأمر للاستمتاع بتعلّم القراءة واكتساب المفردات، كتبت وروجعت وصمِّمت بأيدٍ إماراتيَّة. وسوف يتمكَّن طلبة السَّنوات الأولى في إمارة أبوظبي من استخدام هذه الحقيبة كواحدة من الطّرق التي تدلّ على البرنامج المتوازن "تعلّم القراءة والكتابة"، التي تعبِّر بقوّة عن ثقافته بوصفه مواطنًا إماراتيًّا.

ويمكننا القول في الختام بأنّه مهما كثرت مبادرات ومشروعات خدمة اللّغة العربيّة في التّعليم وتعمّقت، فإنّ هناك الكثير يتبقّى علينا فعله لتقديهه في مجال البحث العلميّ؛ لتعزيز اللّغة العربيّة في التّعليم، وتصميم دورات افتراضيّة لمعلّمي ومتعلّمي اللّغة العربيّة، وتصميم منصّات تبادل معرفة بين المعلّمين، ودعم برامج أدب الطّفل.















مقدمة:

يُعدُّ انتشار اللَّغة العربيّة معجزةً كبرى؛ تعزّز وتغني ما تتميّز به من قدرة بيانيّة وقيم ثقافيّة وحضاريّة. فقد انطلقت هذه اللّغة في إطار محدود، وبإمكانات بسيطة لا تتجاوز أودية عبقر وما يصاقبها من فيافٍ وواحاتٍ ووهادٍ، فتمكّنت في وقت قياسيّ قصير أن تخترق الآفاق، وتفرض سلطانها على النّفوس، وتتحوّل من لغة بيانية -لا تراوح حمى الشّعر والخطابة- إلى لغة برهانيّة تستوعب العلوم والمعارف الإنسانيّة.

وقد بهرت -بهذا الإعجاز- الكثير من الباحثين والمفكرين، فعجزوا عن تفسير كمالها، وسرعة انتشارها، وقدرتها على التطور. يقول المستشرق الفرنسي "ارنست رينان- "Ernest Renan وهو من أكبر المتعصبين ضد العرب وحضارتهم-: «من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصَعُب حلُّ سرِّه انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة -بادئ بدء-، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سَلِسَة أيَّ سلاسة! غنية أيَّ غنى! كاملة؛ بحيث لم يدخل عليها -منذ يومنا هذا- أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامَّةً مستحكمةً، ولم على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصاري». في العربية ليفهمها النصاري». في المواتهم بالعربية ليفهمها النصاري».

وعلى الرغم من قوة هذه اللغة وتعزيز القرآن الكريم لها وإعلائه من شأنها، فقد اعترضت سبيلها مواقف صعبة، وعوائق جمة، أثرت على نموها وتطورها سلبًا وإيجابًا، منها:

1 - موقف التشكيك فيها، وإنكار فضلها، والتنقيص من شأنها وقيمتها.

2 - موقف تأييدها والانتصار لها.

أوَّلًا - موقف الإنكار:

يتأسس هذا الموقف على أطروحة واهمة، تقوم على الاعتقاد بعقم اللغة العربية، وصعوبتها، واستعصائها عن الألسنة، وعجزها عن مواكبة روح العصر، وتوقف أهلها عن الاجتهاد. وتستند هذه الأطروحة إلى مجموعة من التصورات منها:

1 - عدم قدسية هذه اللغة، وضعف علاقتها بالدين الإسلامي، فهذه اللغة التي بلغت من العمر عتيًا -حسب تقدير علي جمعة- «لم يتعهد الله بحفظها؛ لأن القرآن الكريم لا يشتمل على جميع اللغة العربية -من جذورٍ وتراكيبَ ومعانٍ-؛ وإنما على نسبة ضئيلة منها (أقل من 30% من الجذور العربية)، وأن تلك النسبة الصغيرة -في سياقاتها ودلالاتها المحددة- هي التي تستمد قدسيتها من القرآن الكريم، وأمًا غالبية اللغة العربية، فليست مقدّسة، ولهذا



أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982، ص307.

فهي عرضة للتغيير، وطبعًا للانقراض». وقد أكد أحمد محمد الضبيب هذا الزعم، ففسر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أبأن «الله تعالى لم يتعهّد بحفظ اللغة العربية أو ضمان بقائها، وإنما ضمن حفظ الذِّكر" (وهو القرآن الكريم). ولهذا فإن اللغة العربية -حسب تقديره- يمكن أن تنقرض ويبقى الذِّكر الحكيم بشريعته. أ

2 - جمود اللغة العربية، وعجزها عن كفاية أهلها والتعبير عن حاجاتهم الفكرية والوجدانية، وصعوبة تداولها وتعلمها. فقد توقفت هذه اللغة التراثية -حسب تقدير المروجين لهذه الأطروحة- عن التطور وانقطع رقيها من قرون طويلة، فوقفت عند هذا الحد الذي وصلت إليه أيام العباسيين، وصارت تراكيبها غير مصقولة على الألسن، ولا حية بالاستعمال، وأغلق باب الاجتهاد فيها -كما أغلق في باب التشريع- حسب تعبير قاسم أمين. وتوالت عليها الضربات خلال العهد العثماني والفترة الاستعمارية، ودخلت في سلسلة من النكبات زادتها انكماشًا وفقرًا وضعفًا، وفقدت سلطتها وحيويتها، وضاق مجال انتشارها، ولم يعد لها قدرة على مواكبة التطورات الجديدة، ومنافسة اللغات العالمية الحية، التي اكتسحت العالم، وهمشت اللغات التاريخية، وضيقت مجال تداولها، وحدًت من عنفوان انتشارها.

ويستند هذا التصور إلى بعض النظريات الغربية؛ لتأكيد هذه الأطروحة؛ كاللسانيات الاجتماعية التي تعدُّ اللغة ظاهرةً اجتماعيةً، تتطور وتعيش كل مراحل الحياة الاجتماعية. واللسانيات التطورية، التي تطبق مبادئ وقوانين نظرية التطور الداروينية على اللغات؛ كقانون النشوء والارتقاء والصراع من أجل البقاء، وقانون البقاء للأصلح، وموت اللغات القديمة وظهور لغات جديدة، وغيرها من القوانين والنظريات، التي تؤمن بالتطور وتعدُّ اللغات كائنات حيةً؛ تخضع للتطور، وتقوى وتضعف، وتهوت وتحيا؛ كسائر الأجناس والأنواع.

[.] جمعة، عليّ، بحث قدّمه في الجلسة الأولى لمؤمّر"لغة الطُّفل العربيّ في عصر العولمة"، المنعقد مِقرّ جامعة الدّول العربيّة بالقاهرة، 2007.

مؤمّر "لغة الطِّفل العربيّ في عصر العولمة"، المنعقد عقرٌ بجامعة الدّول العربيّة بالقاهرة، 2007.

[.] الجندي، أنور، اللّغة العربيّة بين حماتها وخصومها، ص85.

المرجع نفسه، ص87.

3 - انفصال اللغة العربية عن الحياة، فهي حسب هذه الأطروحة محدودة التداول والتأثير، ينحصر استعمالها في مجالات محدودة في المجتمع، مثل المؤسسات الدينية التي تقدم فيها خطب الجمعة والأعياد بلغة محنطة، تتكرر بصورة واحدة، وبأسلوب واحد في العالم العربي، والمؤسسات التعليمية العمومية التي لم تطور مناهجها وبرامجها التربوية بما يتناسب مع التطور العلمي والتربوي الحديث، والكتب التراثية التي عفا عليها الزمن، والنصوص الدستورية التي تنص على استعمال اللغة العربية لغةً رسميةً في البلدان العربية دون الالتزام بذلك، وغيرذلك من المجالات المحدودة، التي تتحرك اللغة العربية داخلها. وهي بالإضافة إلى ذلك لا تعبر عن هموم الإنسان العربي، ومشاعره الحقيقية، وأحاسيسه وأفكاره وتفاصيل حياته اليومية، التي يعبر عنها بلغته الأم، التي يتكلمها بتلقائية في البيت والشارع، ولا يبذل أي جهد في استعمالها.

وهذه الازدواجية التي يعاني منها الإنسان العربي تعطل فيه القدرة على الإبداع والعطاء، وتخلق لديه انفصامًا في الشخصية، وعيًّا في الأداء اللغوي، وضعفًا في التفكير، وتصادر حريته في التعبير بلغته الطبيعية ولسانه الفطري، وستؤدي لا محالة إلى انتصار العامية وانقراض اللغة العربية. أ

ولم ينحصر التشكيك في اللغة العربية وإنكار فضلها والتقليل من شأنها في مجال البحوث والدراسات العلمية والتقارير الصحفية التي اهتمت بموضوع اللغة، ولكنه شمل خطابات أخرى أكثر خطورة وأبلغ تأثيرًا في النفوس، مثل: الخطاب السينمائي والمسرحي والهزلي والقصصي.

فها أكثر النكت التي تتحدث عن بساطة معلم اللغة العربية وبلاهته، وما أكثر المشاهد السينمائية التي تسخر من لغة الضاد وأهلها، لعل أبرزها شريط "غزل البنات" لنجيب الريحاني «الذي كان أول من أدى دور مدرس اللغة العربية المثير للسخرية».

وقد تجلت هذه التصورات في عدة مبادرات ومشاريع وبحوث ودراسات، تبدو في ظاهرها علمية موضوعية تستهدف تطوير اللغة العربية وإنقاذها من الانقراض، لكنها في الحقيقة تسعى إلى القضاء عليها والتعجيل موتها، من هذه المبادرات:



الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، ص89

^{2.} سلامة، السيد، والملا، إبراهيم، تحقيقات، اللغة العربية، أزمة قواعد وحروف والسيادة للهجات، الاتحاد، السبت 25 ربيع الأول 1438هـ/ 24 ديسمبر 2016م.

()

أ - الدعوة إلى العامية:

وقد تزعمها عدد من المستشرقين الذين شككوا في قدرة العربية الفصحى على التعبير عن روح العصر ودعوا إلى استبدالها بالعامية اقتداء بتعويض اللاتينية باللغات الأوربية، وقد انطلقت هذه الدعوة منذ نهاية القرن التاسع عشر ولا تزال تبيض وتفرخ إلى اليوم، ففي سنة 1882 دعا "اللورد دوفرين" [Lord Dufferin] إلى التخلي عن اللغة الفصحى، وتشجيع لهجة مصر العامية واعتبرها أساس بناء منهج الثقافة والتعليم والتربية. ومما جاء في تقريره في هذا الأمر: «إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية كما هي في الوقت الحاضر». أ

وفي سنة 1883 دعا المبشِّر وليم ويلكوكس [Willcoks William] إلى نشر اللغة العامية والتأليف بها. وقال: «إن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة والكتابة» أن وانتقلت هذه الدعوة إلى الشام ولبنان والجزائر والمغرب، وأنشئت من أجلها مجموعة من المعاهد والمؤسسات التي اهتمت بتدريس العامية واللهجات المحلية، فألف القاضي ولمور كتابا أسماه "لغة القاهرة"، ووضع لها قواعد محددة، واقترح اتخاذها لغة للعمل والأدب أن وسار على نهجه مجموعة من المستعربين في المغرب أمثال "ماسينيون" [Louis Massignon] و"كولان" [Séraphin Colin وغرهم أن .

ثم استطاعت -فيما بعد- أن تجد لها دعاة من البيت العربي، خلفوا أولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر، أمثال: شكري الخوري في كتابه: "التحفة العامية" 1902، ولطفي السيد في مقالاته الكثيرة التي نشرها في مجلة الموسوعات ابتداءً من سنة 1899، ومحمود تيمور في كتابه "مشكلات اللغة العربية"، وسلامة موسى في كتابه "اليوم والغد"، ومارون غصن في كتابه "درس ومطالعة"، ولويس عوض في كتابه "مقدمة في فقه اللغة العربية"، وغرهم.

ب - الدعوة إلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني:

وقد تزعمها مجموعة من دعاة التغريب في مصر ولبنان، أمثال: سلامة موسى، وأنيس فريحة، وسعيد عقل، وغيرهم.

لكن عبد العزيز باشا فهمي كان أكثرهم جرأة؛ حيث اقترح في جلسة المجمع اللغوي المصري يوم 3/ 5/ 1943 استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية؛ اقتداءً بمصطفى كمال أتاتورك، وإصلاح الكتابة بالعربية بتسكين الحروف.

وبلغ به الغلوُّ في هذا الموقف إلى درجةِ اعتبار الدعوة إلى تعلم الفُصحى «محنة حائقة بأهل العربية، وطغيانًا وبغيًا؛ لأن في ذلك تكليفًا للناس ما فوق طاقتهم». ُ

^{1.} الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ص59.

المرجع نفسه، ص53، 54، 56.

المرجع نفسه، ص60، 61.

^{4.} المرجع نفسه، ص112-118.

^{5.} ينظر: زكريا، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر.

اللغة العربية بن حماتها وخصومها، ص77-79، 123، 127.

ج - الدعوة إلى استبدال اللغة العربية الفصحى بلغة عربية وسطى:

وقد حمل لواء هذه الدعوة عدد من الكتاب، أمثال: فريد أبو حديد، وتوفيق الحكيم، وأمين الخولي، وعيسي المعلوف، وغيرهم ٰ.

وتهدف إلى فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة؛ بإعلاء اللهجات، واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية؛ وذلك ما عبر عنه لطفي السيد برفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابى، والنزول بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل أ.

د - الدعوة إلى تهذيب العربية وتيسيرها وإصلاحها وتجديدها:

وهي أسماء متعددة لمسمى واحد، تهدف إلى تحقيق غرض واحد هو: التخلي عن القوانين والقواعد التي حمت اللغة العربية، وصانتها أكثر من خمسة عشر قرنًا، مثل: إلغاء الألف والنون من المثنى، والواو والنون من الجمع، وإلغاء التصغير، وإلغاء جمع التكسير، وإلغاء الإعراب والاكتفاء بتسكين أواخر الكلمات، وإلغاء العوامل، وإلغاء الشكل، وغيرها من الأفكار والمقترحات التي تقدم بها عدد من دعاة تيسير اللغة العربية، أمثال: لطفي السيد، والخوري مارون غصن، وأنيس فريحة، وغيرهم ألى وتندرج ضمن هذه الدعوة أيضًا محاولات استبدال النحو العربي بنحو اللغات الأوربية.

وقد أنجزت في إطار هذه الدعوة مجموعة من المؤلفات منها:

- "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث": لنهاد الموسى: وهو كتاب دعا فيه إلى إسقاط بعض المفاهيم اللسانية المعاصرة على بعض القضايا النحوية.
 - و"العربية والإعراب": لعبد السلام المسدى.
 - و"اللغة العربية إضاءات عصرية": لحسام الخطيب.
 - و"إحياء النحو": لإبراهيم مصطفى.
 - و"نحو عربية ميسرة" و"نظريات في اللغة": لأنيس فربحة.
 - و"في إصلاح النحو العربي": لعبد الوارث مبروك سعيد.
 - و"المنوال النحوي العربي قراءة لسانية حديثة": لعز الدين مجدوب، وغيرها.

وليس هذا الموقف التشكيكي -القائم على معاداة اللغة العربية ومحاربتها- جديدًا، ولا يرتبط في نشأته بحركة الاستشراق الأولى، التي مهدت للاستعمار الغربي الذي اجتاح العالم العربي، ولكنه رافق انتشار العربية في تاريخها الطويل، ولا يزال مستمرًا إلى اليوم.

ففي العصر العباسي بلغت الشعوبية حدًّا لا يُطَاق في ذم العرب، والانتقاص من قدرهم، والتعريض بثقافتهم ولغتهم. فقد غالى بعض الشعوبيين في تحقير العرب وصنائعهم، حتى زعموا أن الأمم الأخرى خير منهم.



المرجع نفسه، ص81.

المرجع نفسه، ص81.

المرجع نفسه، ص77، 78، 79

ومن الكتابات المعروفة في هذا الباب: كتاب مثالب العرب لهشام الكلبي (ت204ه) 1 ، ووفائل الفرس لأبي عبيدة (ت209ه/ 824م) 5 ، ومثالب الصحابة لأبي محمد عبد الرحمن بو صالح الأزدي الكوفي (ت 235ه/ 849م)، ورسالة ابن غرسية، أحمد أبي عامر الأندلسي (ت 476هـ) في تفضيل العجم على العرب 6 ، وغيرها.

وقد انبرى علماء العربية للرد على هذه الكتابات والتصدي لها، أمثال: الجاحظ (ت255هـ)، وابن قتيبة (ت276هـ)، وأبي حيان التوحيدي (ت414هـ)، وأبي جعفر البلنسي، وابن منّ الله القروي، وأبي الربيع نجم الدين الطوفي (ت716هـ)، وابن الأزرق الغرناطي (ت896هـ)، وغرهم.

فقد خصص الجاحظ كتابه "البيان والتبين" للرد علي الشعوبية، وقدم فيه نهاذج متميزة للثقافة العربية الخالصة، في صورها المختلفة، من خطابة، وشعر، وأمثال، ورسائل؛ كي يرى الناس ما في هذه الفنون العربية من قيم بلاغية وجمالية.

والشيء نفسه قام به ابن قتبية في كتابيه: "أدب الكاتب" و"عبون الأخبار"، وأبو حيان

التوحيدي في كتبه "الإمتاع والمؤانسة"، و"البصائر والذخائر"، و"الصداقة والصديق". وابن منة الله في رسالته "حديقة البلاغة"، والطوفي في كتابه "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية"، وابن الأزرق في كتابه "روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام"، وغيرهم. ومما كتبه الطوفي في هذا الباب قوله -في الرد على منكري العربية-: «إن منكري فضلها قسمان: قسم يتصور معنى العربية ويعرف فائدتها، ولكنه منع الحظ والنسيب منها، ولم يوفق لها، وهو إذا نازع في فضلها ينازع بظاهره ولسانه عنادًا... والقسم الثاني من لا يتصور معنى العربية وماهيتها وهم العوام، فهؤلاء لا يدل نزاعهم في فضل العلم معنى العربية ولا يدرك حقيقتها وماهيتها وهم العوام، فهؤلاء لا يدل نزاعهم في فضل العلم

ويقول - في حجية فضلها وأهميتها-: «إن الله كلف عباده بما ضمن كتابه من الأحكام، وشرع لهم فيه بيان الحلال والحرام، وأمر رسوله ببيانه، فبيّنه بالسُّنَّة، وهما أعني الكتاب والسنة عربيان، وهما أصل الشريعة ومعتمدها ومصدرها وموردها وعمادها ومستندها، إذ الإجماع والقياس عند القائلين بكونهما دليلان ثابتان بهما، فهما فرع عليهما نازعان في الحقيقة إليهما، ولا يمكن امتثال مامور الله تعالى في كتابه ورسوله -عليه السلام- في سنة إلا بمعرفة مقتضاهما، ولا يمكن فهم مقتضاهما إلا بمعرفة اللغة التي ورداً بها وهي العربية،

وإنكارهم له وهزئهم به وبأهله على عدم بديهة العلم بفضله..». أ

جمعة، عليٌ، بحث قدّمه في الجلسة الأولى لمؤتمر"لغة الطّنفل العربيّ في عصر العولمة"، المنعقد بمقرّ جامعة الدّول العربيّة بالقاهرة، 2007.

مؤمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة"، المنعقد بمقرٌّ بجامعة الدول العربيّة بالقاهرة، 2007.

^{4.} الجندي، أنور، اللّغة العربيّة بين حماتها وخصومها، ص85.

وحينئذ امتثال التكاليف متوقف على معرفة العربية، وما توقّف عليه الواجب ولم يتم إلا به وكان مقدورًا فهو واجب، وفي هذا رد كاف على من أنكر قدسية اللغة العربية». أ

وعلى الرغم من حملات الطعن والتشويش التي تعرضت لها اللغة العربية في تاريخها الطويل، فإن ذلك لم يزدها إلا قوة ومنعة، فتمكنت عن طريق ما تملكه من طاقة ذاتية، ومن حصانة ربانية، ومن قدرة على التجدد والتطور، أن تحقق مالم يتحقق لها من ذيوع وانتشار في أزمنتها الذهبية الأولى؛ وذلك عن طريق الوسائل الجديدة، التي حملها التطور الحضاري الإنساني، مثل: الصحافة، والترجمة، وانتشار التعليم، واتساع مجال التأليف والنشر، والثورة المعلوماتية، والمشاريع والمبادرات العلمية الهادفة التي أنجزت لتطويرها على مستوى النحو والصرف والمعجم والبلاغة والاستعمال اليومي وغيرها.

ثانيًا - موقف الإقرار بفضل اللغة العربية:

ويقوم على الاعتراف بأهمية هذه اللغة، والانتصار لها، والدفاع عنها، والاهتمام بنشرها، والعمل على استرجاع سلطتها ومكانتها وقوتها الاعتبارية بن اللغات العالمية.

ويمكن أن نميز في هذا الموقف بين عدة توجهات تتداخل بقوة -على الرغم مما يبدو من اختلافات بينها في الظاهر-؛ وذلك للتّداخل الدّيني والوطني والقومي في الفكر العربي، منها:

1 - التوجه الديني:

ويستند إلى رؤية دينية إسلامية في النظر إلى اللغة العربية، تقوم على الإيمان بقدسية هذه اللغة وشرفها وأفضليتها على جميع اللغات، واعتبارها ثابتًا من ثوابت الأمة الإسلاميَّة لا يمكن التخلِّى عنها، ولا يتحقق كمال الدين إلا بتعلُّمها ومعرفتها.

ويرتكز هذا التوجه على ماورد في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة، والتابعين، من إشارات واضحة إلى فضل اللغة العربية وأهميتها ومكانتها بين اللغات، كقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتُ آيَاتُهُ، قُرْأَنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أ، وقوله في تشجيع صحابته على تعلّم اللغة العربية: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به من أرحامكم، وتعلَّموا من النجوم ما تهتدون به من ظلمات البر والبحر، وتعلَّموا من العربيّة ما تعرفون به القرآن»:

ومن ذلك أيضًا قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الأمر بتعلَّم هذه اللغة وتعلَّم الفرائض: «تعلَّموا العربية؛ فإنها تزيد في العقل والمروءة» ، وقوله -رضي الله عنه-:«تعلموا العربية واللحن كم تتعلموا القرءان» أ، وغيرذلك من الآيات والأقوال التي تؤكد فضل اللغة العربية وأهميتها ودورها في تعلم الدين ومعرفة مقاصده.



المرجع نفسه، ص266.

سورة فصلت، الآية 3، ومن ذلك أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرَّآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزّخرف،3].

وقوله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزُمر، 2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِغْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنًا بِه ﴾ [الجنّ، 2].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبيًّا ﴾ [طه، 113].

وقوله تعالى: ﴿ذَرَلَ بِهِ الرَّوِحُ الْفَيِنُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين بِلِسَانٍ عَرِيٍّ مُّبِنٍ﴾، [الشُّعراء، 193-195]. وقوله: «غَيُرُكُمْ مَنْ تَعَلَمَ القُرْآنَ وَعَلَمَهُ».

جزء من حديث صحيح، صحَّحه الحاكم، والذَّهبيّ، والألبانيّ في سلسلة الأحاديث الصّحيحة، 1/ 497، (الحديث رقم: 276).

^{4.} الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993، 1/ 77.

^{5.} الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م، 2/ 219.

فمعرفة اللغة العربية وتعلمها -حسب هذا التوجه- واجب؛ لأن فهم الكتاب والسنة متعلق بها، متوقِّف عليها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب -حسب القاعدة المقررة عند علماء الأصول-.

وقد آمن علماء الإسلام قديمًا وحديثًا بهذه الحقيقة، وأكَّدوها في بحوثهم ودراساتهم اللغوية.

يقول ابن الأزرق في كتابه "الإعلام بمنزلة اللغة العربية من علوم الإسلام": «إنَّ العلم بالعربية وسيلة إلى فهم أشرف المقاصد، وهي علوم الكتاب والسنة. وعلى الجملة يكون لها من الفضائل ما لتلك المقاصد الشريفة؛ لأن الوسائل من حيث هي لها أحكام مقاصدها كما قرر الشيخ عز الدِّين -رحمه الله-، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل"!

ففضل اللغة العربية -حسب ماجاء في هذه الإشارة- مستمد من فضل الكتاب والسنة، ومن ثمة فإن حكمها كحكمهما؛ وهو الفضل والتشريف.

ويقول العقَّاد في مقدمة كتاب "الصحاح": «للأستاذ العطار مؤكِّدًا جانبًا آخرَ في اللغة العربية لم ينتبه إليه الكثير من العلماء هو بعدها الإنساني والكوني: "ولقد قيل كثيرًا إن اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن، وهو قول صحيح لا ريب فيه، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين الإنسانية قاطبة وليس بالدين المقصور على شعب أو قبيل».

فإنسانية الإسلام وعالمية تشريعه الحكيم هي التي ساعدت على انتشار اللغة العربية، وأكسبتها هذا البعد الإنساني الذي تتميز به، لأن رسالة الإسلام لم تأت للعرب فقط، ولكنها حاءت للإنسانية عامة.

ويقول الدكتور حسين نصار في "المعجم العربي": «لم تنهر اللغة العربية بانهيار الدولة الأموية وذلك بفضل القرآن الذي أحاط اللغة العربية بهالة من القداسة والجلال، غمرت كل مسلم مهما كان جنسه ومهما كانت لغته، فاستمرت حية تتوارثها ألسنة جيل بعد جيل، وإن السبب المباشر الذي أظهر الدراسات اللغوية هو ارتباطها بالدراسات الدينية، واتحادها في النشأة... فقد أنزل القرآن كتاب العربية الأعظم على الرسول العربي الكريم؛ ليدعو قومه إلى سبيل الرشاد، فكان بلغتهم وعلى أساليب كلامهم». أ

2 - التوجه القومى:

ويقوم هذا التَّوجُّه على الإيمان بمركزيّة اللَّغة العربيّة في بناء الوحدة العربيّة، والمحافظة على كيانها الثّقافيّ والحضاري؛ فهي تشكِّل إلى جانب التاريخ والثقافة مقومًا أساسيًّا من مقومات الوحدة العربية، وعاملًا رئيسًا من عوامل تماسكها وقوتها، وحاضنًا لمشارب الأمة الثقافية والحضارية، وذاكرتها وخرِّان تراثها وقيمها، وأداةً فعَّالةً في تطوُّرها وتجديد كيانها، والرَّبط بين أجيالها وبينها وبين الأمم الأخرى.

^{1.} ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي، روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ص92.

جمال، أحمد محمد، اللغة العربية لسان وكيان، الموقع الخاص بالمجلس الدولي للغة العربية، دبي.

^{3.} المرجع نفسه

وقد تشكل هذا التوجه في سياق الحركة القومية التي قادها بعض رواد الفكر القومي، الذين نادوا بالانعتاق من النفوذ التركي في نهايات القرن 19م وبدايات القرن 20م، من أمثال: قسطنطين زريق، وساطع الحصري، وزكى الأرسوزي، وعبد الرحمن عزام، وغيرهم.

وقد برز هذا التوجه في أوج الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين من مكة، لكن هذه الثورة لم تحقق الآمال المعقودة لإقامة دولة الوحدة العربية، بعد اتفاقية سايكس بيكو التي قسمت تركة الإمبراطورية العثمانية، ومزقتها شر ممزق. وقد اتخذت هذه الحركة أبعادًا أخرى خلال الفترة الاستعمارية وبعدها.

ونلمس آثارها الفكرية فيما كتبه: ساطع الحصري، ومصطفى صادق الرافعي، وعبد الله كنون، من مقالات وأشعار حول اللغة العربية، وفيما أنجزه الموسوعيون العرب -المسلمون والمسيحيون- في الشام ومصر من معاجم وموسوعات وقواميس في اللغة والطب والنباتات والحيوانات وغيرها، أمثال: أمين المعلوف، وأنسطاس الكرملي، ومصطفى الشهابي، ومحمد شرف، وأحمد عيسى، وإبراهيم اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، وسليمان البستاني، وأنيس الخورى، وغيرهم.

يقول مصطفى صادق الرافعي في مقال بعنوان: "اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال" في تأكيد البعد القومي للغة: «أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وُجودًا متميزًا قامًا بخصائصه، فهي قومية الفكر، تتحد بها الأمة في صور التفكير، وأساليب أخذ المعنى من المادة»!.

فاللغة حسب هذه الاشارة صورة حية لوجود الأمة في أفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، ودليل على قوة أهلها ونبوغهم الفكري وتميزهم وحضور ملكاتهم ومواهبهم. وعمقها وغناها دليل على عمق وغنى روح الأمة، ونزوعها إلى النظر والتفكير والبحث في الأسباب والعلل، واستشراف آفاق المستقبل.

3 - التوجه العروبي الوطني:

ويعدُّ امتدادًا للتوجه القومي -مع تركيزه على مقوِّم العروبة-؛ باعتباره مقومًا ثقافيًا مشتركًا بين معظم البلاد العربية، دون باقي المقومات الأخرى، التي تقوم عليها العقيدة القومية؛ مثل: التاريخ المشترك، والمجال الجغرافي الواحد.

وقد ظهر هذا التوجه كرد فعل ضد السياسة الاستعمارية التي حاربت اللغة العربية، وحاولت التفريق بين العرب وباقي الإثنيًات التي تكون البلدان العربة، ثم تنامى مع النزعات الإقليمية التي دعا إليها بعض المستغربين، الذين دعوا إلى إحياء الخصوصيات الإقليمية المتبقية من الماضي البعيد للبلدان العربية، من فينيقية وفرعونية وكنعانية وبابلية وأماز بغية، وغيرها.



^{1.} الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م ج3، ص28-33.

يعدُّ الرافعي من رواد التوجه الديني، لكن البعد القومي في هذا النص يبدو واضحًا، وهذا يدعو إلى مراجعة التصنيفات التقليدية التي حاولت وضع حدود فاصلة وقاطعة بين الأدباء والمفكرين؛ انطلاقًا من اعتبارات غير دقيقة؛ وذلك لتداخل الديني والقومي والوطني في الفكر العربي عمومًا.

وقد أنجزت في إطار هذا التوجه بحوث ودراسات كثيرة في خدمة اللغة العربية، بعضها اتجه اتجاهًا تنظيريًا، وبعضها سلك مسلكًا تطبيقيًّا، منها:

- كتاب "النحو العربي بين المحافظة والتجديد" لعباس حسن.
- و"تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده" للدكتور شوقى ضيف.
 - وكتاب "الأصول" للدكتور تمام حسان.
 - وكتاب "دراسات في علم اللغة" لكمال بشر.
 - وكتاب"دراسات نقدية في النحو العربي" لعبد الرحمن أيوب.
 - و"المعجم العربي" لعبد القادر الفاسي الفهري، وغيرها.

وقد واكب الشعر هذه المعركة، من خلال ما كتبه بعض شعراء القرن الماضي، من قصائد رائقة في الدفاع عن العربية، والإشادة بها؛ كحافظ إبراهيم في قصيدته "اللغة العربية تنعي نفسها بين أبنائها" أ: [طويل]

رَجَعْتُ لِنَفْسِ فَاتَّهَمْتُ حَصاتِي *** ونادَیْتُ قَوْمِی فَاحْتَسَبْتُ حَیاتِی رَمَوْنِی بِعُقْمِ فِی الشَّبابِ ولَیْتَنِی *** عَقَمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عدَاتِی وَلَدْتُ وَلَـمَّا لَمْ أَجِـدْ لِعَرَائِسِی *** رِجالًا، وأَكْفاءً وأَدْتُ بَنالِي وَلَدْتُ وَلَـمَّا لَمْ أَجِـدْ لِعَرَائِسِی *** رِجالًا، وأَكْفاءً وأَدْتُ بَنالِي وَعِلْاتِ وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وغايَةً *** وما ضِقْتُ عَنْ آيِ بِهِ وَعلِظَاتِ فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصِافِ *** آلَةٍ وتَنْسِيقِ أَسْماءٍ لْمُحْتَرَعاتِ؟ فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصِافِ *** يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رَبيع حَياتِي؟!

والرافعي في قصيدته:"اللغة العربية والشرق" $^{^{1}}$ في بكاء هذه اللغة والتعبير عن مشاعرالحزن والألم على ما آلت إليه:

أُمُّ يَكِيدُ لَهَا مِن نَسْلِ هَا العَقَبُ *** ولا نَقيصَةَ إلَّا ما جَنى النَّسَبُ كَانَتْ لَهُمْ سَبَبًا فِي كُ لَ مَكْرِمَةٍ *** وهُمْ لِنَكْبَتِها مِن دَهْرِها سَبَبُ لا عَيْبَ فِي الْعَرَبِ العَرْباءِ إِنْ نَطَقوا *** بَيْنَ الأَع اجم إلَّا أَنَّهُمْ عَرَبُ



[.] [براهيم، حافظ، الديوان، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ط، 1987. 2. الرافعي، مصطفى صادق، الديوان، تج: ياسين الأيوني، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ/ 2004م، ص 230-232.

وأحمد شوقي في قصيدته : [رمل]

إِنَّ لِلْفُصْحَى زِمامًا ويَدًا *** تَجْلِبُ السَّهْلَ وتَقْتادُ الصِّعابَا لُغَةُ الذِّكْرِ لِسانُ الْمُجْتَبَى *** كَيْفَ تَعْيَى بِالْمُنادينَ جَوابَا

ولا يزال الشعراء إلى اليوم يرفعون عقيرتهم للدود عن اللغة العربية وبيان فضلها وقدرتها على على الإبداع والعطاء، من خلال ما يبدعونه من أشعار رائقة في بيان فضلها وقدرتها على الإبداع والعطاء. ومن القصائد التي تترجم هذا الوعي الصادق والإحساس الجمالي الرائق قول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في قصيدته "اللغة الخالدة": [بسيط]

طَفِقْتُ أَبْحَثُ عن كُتْبِي وَعن وَرَقِي *** ورُحْتُ أَبْذُلُ مِن تِبْرِي ومِن وَرِقِي وَلِي مَعَ الشَّعْرِ رايـاتٌ رُفِعْتُ بِها *** ما طاوَلَ النَّجْمَ مِن مَنْظومهِ الأَلِقِ شُعاعُ فِكْرٍ شُعـاعُ الصبْحِ يَحْسدُهُ *** ونورُ فجرٍ تَجلًى لحـظةَ الفَلقِ أَنَارَ لِلأَرْضِ مِنْهُ مُسْسَحِ مَنْ أَلِقٌ *** وَاللَّوْنُ لا لَوْنَ إِلَّا كَاشِفُ الْيَقَقِ كَيْفَ اتَّفَقْنا أَنا وَالصُّبْحُ ثـانِيَةً *** مِن بَعْدِ مُسْتَتِرٍ مِنْهُ وَمُنْفَ ـاقِقِ كَيْفَ اتَّفَقْنا أَنا وَالصُّبْحُ ثـانِيَةً ***

وبعد هذه الإشراقات الرائقة التي يمتزج فيها ألق الشعر وسحر التبر وعبق الفجر، يختم تأملاته في الحضارة العربية الإسلامية بإجزاء الشكر لله تعالى وحمده على ما أنعم به على خلقه من نعم وفضائل، من أبرزها نعمة القرآن الكريم الذي أنزله على رسوله الكريم بلسان عربي مبين، وضمن حفظه من كيد العداة وعبث الحاسدين: [بسيط]

سُبْحانَهُ اللَّهُ مَن سَوَّى وَصَـــوَرَنا *** كَما يَشــاءُ وأَحْيَى الْخَلْقَ بِالْخُلُقِ وَالشَّرائِعِ تَثْرَى والْكِتـــابِ إلى *** عبادِه فَهْوَ فيهِــــم جِدُّ مُرْتَفِقِ وَتَوَّجَ الْفَضْـــ لَلِ الْقُرْآنِ نَزْلَهُ *** على نبيًّ كَثيرِ المُكْـــرُماتِ نَقِي لِسائُهُ عَرَيٌّ وَهُوَ حافِـــظُهُ *** إلى القيامةِ مِن كَيْدِ العُـداةِ وُقي لِسائُهُ عَرَيٌّ وَهُو حافِـــظُهُ *** فَرائِضُ الدِّينِ وَاسْتَعْلى ذَوو النَّزَقِ فَسَوْفَ يَرْفَعُهُ عَنْ كافِر وَشَقِي فَسُوْفَ يَرْفَعُهُ عَنْ كافِر وَشَقِي فَكَيْفَ تَخْشَى عَلى ما اللَّهُ حَافِظُهُ *** كَفى بِهِ حَافِــــظًا فِي كُلَّ مُنْزَلَقِ فلا تَلمْني إذا هيَّجْتَ بِي شَجَــنًا *** فَلْنَتَ مَن أَنْتَ في عِـلْم وَفِي خُلُقِ فلا تَلمْني إذا هيَّجْتَ بِي شَجَــنًا *** وَنَحْنُ نُكْيِرُ شَأْنَ الفَــاهِمِ وَلِي خُلُقِ شَكَرْتُ سَعْيَكَ واسْلَمْ فاهِــمً اللَّيقً *** وَنَحْنُ نُكْيِرُ شَأْنَ الفَــاهِمِ اللَّبِقِ شَكَرْتُ سَعْيَكَ واسْلَمْ فاهِـمًا لَيَقًا *** وَنَحْنُ نُكْيِرُ شَأْنَ الفَــاهِمِ اللَّبِقِ



ا. شوقي، أحمد، الشوقيات، دار الكتب العلمية، بروت، لينان، 2/ 17-21.

^{2.} الطابور، عبدالله على، بلاغة الصور البيانية والأجراس الموسيقية، قراءة في قصيدة محمد بن راشد "اللغة الخالدة"، ملحق الخليج الثقافي،



وقد أسهم موقف الإقرار بفضل العربية والانتصار لها في خدمة هذه اللغة، على الرغم مما يبدو من اختلاف بين توجهات أصحابه ضيقًا واتساعًا، أسلوبًا ومنهجًا، فأنجزت في إطاره مجموعة من البحوث والدراسات، أعادت الاعتبار للغة العربية، وأسهمت في تطويرها نحوًا، وبلاغةً، واستعمالًا، وإبداعًا، وأنشئت مجموعة من المؤسسات التي تعنى بتطويرها، مثل: مجامع اللغة العربية، ومكاتب تنسيق التعريب، والمؤسسات التربوية التي اهتمت بتطوير مناهج التعليم، ومكاتب الترجمة، والجمعيات التي تهتم بحماية اللغة العربية والدفاع عنها، وبيوت الشعر، وغيرها من الأعمال والمنجزات، التي أسهمت في بث دماء جديدة في هذه اللغة ونشرها على نطاق واسع.

وتمثل التجربة الإماراتية نموذجًا متميّزًا مكن أن يحتذى به في النهوض باللغة العربية؛ وذلك لشموليته وواقعيته وقوة الأسس والمرتكزات التي ينبني عليها وتجاوزه للخلفيات الإيديولوجية التي انطلقت منها التجارب السابقة في الدفاع عن اللغة العربية وتركيزه على كل ما يخدم تطورها من معطيات علمية جديدة وتجارب تربوية وتعليمية مفيدة.

وتبرز أهمية هذا المشروع وفعاليته فيما يأتى:

1 إنه ينبني على إيمان قوي وصادق بأهمية اللغة العربية ودورها الفاعل في حياة الفرد والمجتمع وعزم راسخ على تطويرها والنهوض بها باعتبارها أبرز مقومات الهوية الوطنية والدينية والقومية ، ويتجسد هذا الإيمان والعزم في إقراراللغة العربية لغة رسمية للدولة والاعتزاز بها والحرص على تطويرها من خلال مجموعة من المبادرات الجادة والفاعلة التي تشمل مختلف مبادين الحياة.

فاللغة العربية حسب رؤية صاحب السمو الشيخ خليفة -حفظه الله- وإخوانه شيوخ الإمارات هي أساس الهوية الوطنية وإحدى أهم الركائز التي تجمع بين أبناء الأمة العربية؛ ووعاء التراث العربي الأصيل والقيم والرؤى، والتنوع الثقافي والحوار بين الحضارات، وإن "الإسهام في الحفاظ عليها هو قيمة إسلامية وفريضة وطنية وترسيخ لهويتنا وجذورنا" أ

2 _ إنه يستند إلى خطة استراتيجبة تكاملية تقوم على رعاية مجموعة من المشروعات الفاعلة والمستمرة ذات الصلة باللغة العربية باعتبارها مقوِّمًا أساسيًّا من مقومات الهوية الحضارية للمجتمع الإماراتي، من أبرزها قانون القراءة أن وميثاق اللغة العربية، ورعاية الطلبة المبدعين في اللغة العربية، وإطلاق كلية للترجمة، وإنشاء معهد لتعليم العربية لغير الناطقين بها.

^{1.} محمد بن راشد: الحفاظ على «العربية» مسؤولية وطنية ودينية وأخلاقية، ضمن:

¹a-na-115556.jpg/320x240/14/05/http://www.alittihad.ae/assets/images/Emirates/2013

محمد بن راشد يطلق حزمة مبادرات لتعزيز مكانة اللغة العربية، الإمارات اليوم، ضمن: 1.478818-23-04-http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2012

^{3.} خليفة: 2016 عام القراءة، الخليج، ضمن:

⁹b4a9c691e46-www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/a91b2951-d8ef-4ddb-ae91

إضافة إلى اعتماد اللغة العربية في التعاملات الحكومية الداخلية والخارجية وفي جميع الخدمات الحكومية المقدمة للجمهور، وإطلاق جائزة خاصة باللغة العربية، ومبادرة "بالعربي"، ومبادرة "لغتي"، وجائزة القاسمية للغة القرآن الكريم، ومشروع إنشاء أضخم مكتبة في العالم، وإنشاء بيوت الشعر وغيرها من المبادرات والأوراش الكبرى التي أطلقها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة -حفظه الله-، وصاحب السمو محمد بن راشد وصاحب السمو الشيخ الدكتور القاسمي، وإخوانهم أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى لاتحاد حكام الإمارات. أ

 E_{-} إن هذا المشروع يستند الى رؤية مستقبلية في نشراللغة العربية تقوم على الاهتمام بها في إطار شمولي ينطلق من الماضي والحاضر ويرنو إلى المستقبل، ويتصل بجميع جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، باعتبارها الخيط الناظم لهذه الجوانب كلها والعنصرالفاعل في انتظامها وتميزها، لما تحمله من معان ومضامين فكرية وحضارية ولما تعطي للمواطن من معاني الشخصية المتميزة والمتوازنة وتبعث فيه من طاقات الإبداع والتألق، ولذلك أكدت عليها رؤية الإمارات 2021 التي تهدف إلى جعل الدولة مركزًا للامتياز في اللغة العربية، وأعطتها الصدارة في جميع المبادرات والمشروعات الفاعلة التي تتصل بالهوية الحضارية للمجتمع الإمارات.

4 _ إن هذا المشروع لا ينطلق من انطباعات وجدانية وحماسة آنية في الانتصار للغة العربية والدفاع عنها، ولكنه يرتكز على خطة استراتيجية بعيدة المدى، تقوم على تتبع وضع اللغة العربية، من خلال الإحصائيات والبيانات والدراسات العلمية الموثقة، وتشخيص الأمراض التي تعاني منها في مختلف المجالات، في الأسرة والمجتمع والمدرسة والجامعة والإعلام، من أجل الاطلع على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تراجعها، وتقديم حلول مبتكرة ناجعة، تؤدى إلى النهوض بها، وتساعد على استعادة مجدها.

5_ إنه ينظر إلى اللغة العربية من منظور واقعي حداثي تفاعلي، يقوم على الاعتراف بجميع اللغات والثقافات الأخرى التي تحيط بها، وتتعايش معها، وتعدُّها رافدًا غنيًّا يمكن أن يفيدها ويسهم في تطورها، ولا يعدُّها منافسًا لها، ومهدِّدًا لوجودها؛ كما يعتقد الذين ينظرون إلى هذه المسألة نظرة ضبقة إقصائية .

هذه بعض الإشارت حول انتشار اللغة العربية بين المؤيدين لها والمنكرين لفضلها، وهذه بعض اللمع حول تجربة دولة الإمارات في الاهتمام بها. والأمل معقود على هذه التجربة الواعدة لما تحمله من معانى الصدق والقوة والأمل وتتميز به من جدية ومصداقية وواقعية.



^{1.} المحافظة على اللغة العربية وإثراؤها، الاتحاد، 21 أبريل 2015 ضمن: http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=84367

محمّد بن راشد، اللغة العربية أداة رئيسيّة لتعزيز هويتنا الوطنية، ضمن:

http://www.alittihad.ae/assets/images/Emirates/2012320/24/04/x2405/a-na-77457.jpg

محمد بن راشد يُطلق حزمة مبادرات لتعزيز مكانة اللغة العربية،الإمارات اليوم، ضمن: -http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/20121.479046-24-04

^{4.} كلمات وعبر: من أقوال صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد أل نهيان رئيس دولة الإمارات -حفظه الله-: http://altibrah.ae/book/566

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، حافظ الديوان، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1987.

- ابن الأزرق، محمد بن علي أبو عبدالله، روضة الإعلام منزلة العربية من علوم الإسلام، تح: سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1429هـ/ 1999م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، البيان والتبيين، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418ه/ 1998م.
 - الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982م.
 - الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993م.
- الرافعي، مصطفى صادق، الديوان، تح: ياسين الأيوبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1425هـ/ 2004م.
 - الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار المعارف، مصر، ط2، 1982.
- زكريا، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية. ط 1، د.ت.
- سلامة، السيد، والملا، إبراهيم، تحقيقات، اللغة العربية، أزمة قواعد وحروف والسيادة للهجات، الاتحاد، السبت 25 ربيع الأول 1438ه/ 24 ديسمبر 2016م.

- الطابور، عبدالله علي، بلاغة الصور البيانية والأجراس الموسيقية، قراءة في قصيدة محمد بن راشد "اللغة الخالدة"، ملحق الخليج الثقافي، 2012/05/14.
- الطوفي، أبو الربيع نجم الدين، الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، دراسة وتح: محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبكان، الرباض، ط1، 1417هـ/ 1997م.
- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ/ 1997م، ج1، 2، 5.
- الكلبي، هشام، مثالب العرب، تح: نجاح الطائي، دار الهدى، بيروت، لندن، ط1، 1419هـ/ 1998م.

المراجع إلكترونية:

- خليفة: 2016 عام القراءة، الخليج:
- www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/a91b2951-d8ef-4ddb-ae919-b4a9c691e46
- محمد، أحمد محمد جمال، اللغة العربية لسان وكيان، الموقع الخاص بالمجلس الدولي للغة العربية، دبي.

- محمد بن راشد: الحفاظ على "العربية" مسؤولية وطنية ودينية وأخلاقية:



 $http://www.alittihad.ae/assets/images/Emirates/20c13320/14/05/x2401/a-n \\ a-115556.jpg$

- محمد بن راشد يطلق حزمة مبادرات لتعزيز مكانة اللغة العربية، الإمارات اليوم: http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/20121.478818-23-04-
- كلمات وعبر: من أقوال صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات -حفظه الله-: http://altibrah.ae/book/566
- المحافظة على اللغة العربية وإثراؤها، الاتحاد، 21 أبريل 2015: http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=84367







لا شكّ أنّ الألسن البشريَّة بما تحقِّقه من وظائف تواصليَّة متنوَّعة بين المرسل والمستقبل، وبما تحمله في بنيتها الدّاخليّة ومستوياتها الصّوتيَّة والتِّركيبيَّة والدّلاليّة وخصائصها البلاغيّة، وأبعادها النّسقيّة والبراغماتيّة؛ لتؤكِّد للمتأمّلين حقيقة جوهريّة هي أنّها آية من ألطف وأعجب آيات الله وأبدعها، بل الأهمّ بجدارة وامتياز، كما قال الله تعالى: ﴿ ...وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلعَالِمِينَ ﴾ [الرّوم، من الآية: 22]

وإذا كانت الألسن من أبدع الآيات فإنّ اللّغة العربيّة من أشرف اللّغات وأبينها وأبلغها وأمتعها وألدّها، ولا أدلّ على ذلك من وصف القرآن الكريم لها بأوصاف فريدة، وأوسمة نضيدة، وكذلك العلماء العرب منهم والعجم:

ومن ذلك وصف القرآن الكريم لها بالبيان؛ وصف إقرارٍ وتقريرٍ، ينم عن براعة تحبير وتصوير؛ قال تعالى: ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النَّحل، 103]. ووصفها أبو عثمان الجاحظ (150-250ه) بقوله: «ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ولا آنق، ولا ألذُ في الأسماع، ولا أشدُ اتَّصالًا بالعقول السّليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويمًا للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء».

والملاحظ أنّ القرآن الكريم قد وظّف لفظ "البيان" بمشتقّاته، في العديد من المواضع، وصفًا ومدحًا وإخبارًا وإقرارًا؛كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران، 138] وقوله -عزّ ثناؤه-: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة، من الآية:

حتَّى جعل "البيان" صفةً لفصاحة المتكلِّم، وحسن الإفهام، ورونق الأسلوب، كما فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿ عَلَمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرّحمن، 4]، -في أحد الأقوال- أنّه الكلام.ُ

ومن هذا القبيل ما وصف به ثلّة من العلماء واللّغويّين قديمًا كالجاحظ (ت 250ه)، وابن العميد (ت قبل 367ه)، وأبو حيان التّوحيديّ (ت 414ه). وحديثًا كمصطفى صادق الرّافعي (ت 1937م)، وشكيب أرسلان (ت 1946م). ومحمّد البشير الإبراهيميّ (ت 196م) وغيرهم بأوصاف منها: "أمير البيان".

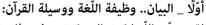
وسنحاول هنا أن نقف على مصطلح "البيان"، ومكانته في القرآن الكريم وفي اللّغة العربيّة.



[ً]ا. الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان: البيان والتّبيين، تح وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998: 1/ 145.

²⁻ ينظر: الطّبريّ، محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تج: عبد الله بن عبد المحسن التزّي، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، القاهرة، ط

^{.170 /22 ،2001 ،1}



لقد حدّد اللّسانيّون الغربيّون منذ مطلع القرن 19 خلال -دراستهم الظّاهرة اللّغويّة- وظائف اللّغة، وأجمعوا على أنّ الوظيفة الأساسية من تلك الوظائف وظيفة التّواصل. واستطرد رومان جاكبسون (ت 1982م) في ذلك فجعلها ستّةً، وذلك بحسب العناصر التي يرتكز عليها أيّ خطاب، فجعل للمرسِل الوظيفة التّعبيريّة (الانفعاليّة)، وللمرسل إليه الوظيفة التّأثيريّة (الإفهاميّة)، وللرّسالة الوظيفة الجماليّة، وللقناة الوظيفة الانتباهيّة، وللشفرة الوظيفة المثالغويّة.

وأضاف مايكل هاليدي (ت 2018م) لتلك الوظائف ما يتناسب والأبعاد البراغماتيّة التي ينتمى إليها مضمون كلّ خطاب.

وأمًا علماء الإسلام القدامى -ومنهم الجاحظ- فقد تحدّثوا عن مقولة بالغة الأهمّية وهي مقولة "البيان"، تصلح أن تكون وظيفة تشمل جميع ما في اللّغة من عناصر وأنساق. ويتّضح لنا ذلك جليًا، من خلال تعريفه مصطلح "البيان" في كتابه الشّهير "البيان والتّبيين"، بقوله: «والبيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيء كشّفَ لك قناعَ المعنى، وهتك الحِجَاب دون الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويهجُم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أيّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مدارَ الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، إنمًا هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلَغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع».

ولا شكّ أنّه استعار لفظ "البيان" من سجلّ المفردات القرآنيّة؛ إذ وظفه القرآن-كما سبق-بمشتقّاته، في عدّة مواضع ومن ذلك مثلًا: البيان -ومشتقّاته من الأسماء- في: 211 موضعًا، وأفعاله -مجرَّدَّةً أومزيدةً- في: 55 موضعًا.

وإذا كان البيان عند اللّغويّين الظّهور والكشف والوضوح، فإنّ اطّراده في القرآن الكريم دليل على وضوح دلالاته، ومعالم منهجه، وحدود أهدافه، وعبر قصصه، وثوابت أحكامه.

فكما تكرّر وصف لغة القرآن بالبيان في أحد عشر موضعًا، ومنها قوله تعالى:

- _ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس، 2]
 - _ ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا...﴾ [الرّعد، 37]
- _ ﴿...وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النّحل، من الآية: 103]
- فقد وصف القرآن الكريم؛ بوصفه آياتٍ (معجزةً) في ثلاثة مواضع، هي:
- _ ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النّور، 34]
 - _ ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آیَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ یَهْدِي مَن یَشَاءُ إِلَى صِراطٍ مُّسْتَقِیمٍ ﴾ [النّور، 46]
 - _ ﴿ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتِ...﴾ [الطِّلاق، من الآية: 11]

وبوصفه كتابًا هاديًا، في عشر مواضع، منها:



الجاحظ: البيان والتّبيين، 1/ 76.

_ ﴿... قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة، من الآية: 15]

_ ﴿... وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابِ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام، من الآية: 59]

_ ﴿ ... وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكُ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كَتَأْبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس، من الآية: 61] وبوصفه آيات وقرآنًا وكتابًا في موضعين، هما:

_ ﴿ الرِ تِلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِتَابِ وَقُرْءَان مُّبِين ﴾ [الحجّ، 1]

_ ﴿ طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِيِّنٍ ﴾ [النّمل، 1]

وبوصفه ذكرًا، في قوله -عزَّ وجلَّ-:

_ ﴿...إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس، من الآية: 69]

فدلّ مجموع هذه المواضع بسياقاتها بأنّ الخطاب القرآنيّ، لا يكتنفه الغموض، ولا يشوبه التّشكيك، ولا يقبل الاحتمال، ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ... ﴾ [النّساء، من الآية: 170]، فهو كنور الشّمس الذي لا يمكن تكذيب أيّ شعاع من أشعّته، قال تعالى: ﴿ ...قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة، من الآية: 15]

ولا شكّ أنّ ذلك البيان قد تحقّق في القرآن، بتفاصيل ذكرها المفسّرون والأصوليّون والفقهاء والشُّرًاح وذوو النّظر، وبالجملة فهو قد مثَّل: «الطّريق المعبّد الممهّد الذي يكون للسّائر فيه السّلامة التّامة والأمان الدّائم». للسلامة في الفكر، وأمانٌ في العيش.

ثانيًا _ اللّغة العربيّة والقرآن الكريم.. رسالة واحدة:

لقد تقرّر لدينا ممّا سبق بأنّ مفهوم اللّغة بوظيفتها البيانيّة ومفهوم القرآن وجهان لعملة واحدة، وأنّ العلاقة بينهما كالعلاقة بين الدّالّ والمدلول -على حدّ اصطلاح اللّسانيّين-، أو علاقة اللّزم بالملزوم، على حدّ قول الشّاعر: [متقارب]

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ*** وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا ۚ

كيف لا؟ وقد اختزنت هذه اللّغة في نظامها الإبلاغيّ ما جعلها تحوي كلام الله تعالى، وتبلغ غاياته وتحيط بمراده. فنالت الشّرف كلّه، وما قصرت يومًا عن مطابقة مقامٍ أو سياق أو موقف، ولا استعصت على خطيب أو شاعر أو ناثر، ولا عجزت في عصر من العصور عن أداء معنّى أو تصور أو مفهوم. ولا غرو فاللّسان الذي اتّسع للوحى الإلهيّ لا يضيق أبدًا.

حتّى نعتها -ونعت القرآن الكريم الذي نزلت به- أقوامٌ من العجم -قبل العرب- على مرّ التّاريخ، بأوصاف لم نسمع أنّ لغة أو لهجةً قديمًا أو حديثًا، حيَّةً أو منقرضةً، وُصفت بها.



 ^{1.} جابر، تهاني عفيف يوسف: منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، دار الفتح للدراسات والنشر، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المشحدة الأمريكية، ط1، 2015، ص36.

^{2.} أبو العتاهية (ت 210هـ)، الدّيوان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، د.ط، 1986، ص375.

وقد وصفها أبو الفتح ابن جني (ت 395هـ) بالشريفة أ. وقال ريجي بلاشير [Régis] وقد وصفها أبو الفتح ابن جني (ت 395هـ) بالشريفة أ. وقال ريجي بلاشير [Blachère] الكتب الشرية الشروقة كتابًا بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر ممّا فعله القرآن». أو مثل هذه العينة من الأقوال لترشخ في أذهاننا مكانة اللغة العربية عند العلماء قديًا الإنسانيّة جمعاء.

وحديثًا، وتدلّل على روعة بيانها، وأهمّيتها في بناء الحضارة الإسلامية وانعكاساتها على الإنسانيّة جمعاء.

والطبقات في سبيل لغة القرآن دراسة وتقعيدًا وممارسة.

1. بينز ابن جهر او الفتي العمامي بج معند عن القيار، در الكب العلية، المام الذي الكتبة العلية. دما، دم، و، 206 والطبقات في سبيل العند العلماء والمام المام ال



مصادر ومراجع:

- القرآن الكريم.

- بدويّ، عبد الرّحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1993.

- جابر، تهاني عفيف يوسف، منهج القرآن الكريم في التّغيير الفرديّ، دار الفتح للدّراسات والنّشر، والمعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ط1، 2015.
- الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتّبيين، تح وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998، ج1.
- ابن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تح: محمّد عليّ النّجّار، دار الكتب العلميّة، القسم الأدبيّ، المُكتبة العلميّة، د.ط، د.ت، ج3.
- زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والرّد عليها، القاهرة، دار الآفاق العربيّة، د.ط، 2009.
- الطّبريّ، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تح: عبد الله بن عبد المحسن الترّكي، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 2001، ج22.
 - أبو العتاهية، الدّيوان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، د.ط، 1986.



المصطلح العربيّ الحديث "
" بين الواقع المشهود والمستقبل المنشود
أ.د / إدريس بوكراع
جامعة محمَّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة
driss.boukraa@mbzuh.ac.ae



مقدمة:

إن التداول المأمول للمصطلح العربي هو التداول داخل البلاد العربية كلها، بل وفي المنظمات الدولية التي يعتمد كثير منها اللغة العربية لغة عمل. وإن لتداول المصطلح العربي بهذه الصورة أثرًا محققًا في نهضة أمتنا؛ إذ إن المصطلحات العربية هي السبيل إلى تراكم الثروة المعرفية، والإبداع الفني في جميع الميادين. ويجب عدم الاستهانة بمسألة تداول المصطلح الوافد علينا من لغات أخرى، وبخاصة إذا كان دخيلًا؛ لأن كثرة الدخيل تغير جوهر اللغة، وتحللها لغة أخرى؛ وتؤثر في تصورات الأمة، ومفاهمها وتشوه هويتها.

ومع أن تداول المصطلح العربي بيننا ضرورة حضارية فإنه ما يزال أملا وغاية لم تدرك بعد، تحول بيننا وبينها أسباب مانعة، منها: تخلف الأمة، وقلة إنتاجها الفكري والمادي، وعدم الوعي بقيمة المصطلح العربي، وعدم استثمار المصطلح التراثي، والجهل بالمصطلح العربي المستحدث، وغياب التخطيط اللغوي الشامل، والبطء، والقُطرية، والنزعة الفردية في توليد المصطلحات.

إن قضايا المصطلح ليست مجرد موضوعات لغوية متخصصة، وإنما هي - قبل ذلك وبعده - موضوعات ذات أبعاد فكرية وحضارية ترتبط بهوية الأمة في حاضرها ومستقبلها. ومن هنا تكتسي دراسة المصطلح العربي الحديث ورصد واقع تداوله أهمية خاصة.

وتجدر الإشارة -بداية- إلى أن لتداول المصطلح العربي مفهومين:

_ أحدهما خاص: يراد به استعمال المصطلح العربي، وتوظيفه في مجال من مجالات العلم أو الفن. وهو تداول محدود؛ مقارنة بتداول الألفاظ العامة التي تنتشر في اللغة كلها، وتشيع بين العامة والخاصة، فلا يكون لأحد منهم غنى عنها، وقد تمثل النسبة الغالبة من الألفاظ المستعملة في مصادر العلوم والفنون ومراجعهما.

وهذا المفهوم لتداول المصطلح هو الذي دعا الدكتور عبد العلي الودغيري، خلال حديثه عن خصائص المصطلح، إلى أن يقول: "وللفظ العلمي أو التقني خصوصيات تميزه عن بقية ألفاظ اللغة، منها... أنه بطبيعته محدود الانتشار لدلالته على شيء معين بين فئة اجتماعية أو ثقافية محددة".

_ أما المفهوم الثاني: فيراد به استعمال بعض المصطلحات العربية في التداول العام على نطاق واسع في الإعلام، والجمعيات، والمؤلفات الثقافية، والإعلانات التجارية، وغيرها.



^{1.} الودغيري، عبد العلى، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقى، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص194.

وهذا النوع من التداول يتعلق بالمصطلحات المنتقلة من مجال التخصص الدقيق إلى مجال الاستعمال اللغوي العام، كما هو شأن بعض المصطلحات المتداولة بين عامة المثقفين، مثل: الشابكة، والذكاء الاصطناعي، وغيرهما.

ولكل واحد من هذين النوعين من التداول ما يناسبه من العوامل المؤثرة فيه. ويختلف الحديث عن تداول المصطلح العربي بنوعيه بالنظر إلى المراد من "المصطلح العربي"، أهو المصطلح المنشود؟

ولا شك في أن المصطلح العربي الموجود يعاني نقصا ملحوظا، ولذلك لا يمكن أن يكون تداوله غاية الطموح، فمن جهة الكم لا يسد المصطلح العربي كل الثغرات المفهومية الواجب سدها، فيقصر عن تسمية كل المستحدثات، ويفسح المجال واسعا أمام المصطلح الأجنبي الوافد ليحتل مكانه الذي يجب أن يحتله هو. والأمثلة على هذا في كل مجال أكثر من أن تحصى، ففي الدرس اللغوي الحديث، على سبيل المثال، تستخدم مصطلحات دخيلة كثيرة، منها: الفونيتيك، والفنولوجيا، والفونيم، والمونيم، والمورفيم، واللكسيم.

وتعاني المصطلحات العربية، مع هذا النقص، فوضى في الوضع، تتمثل في تعدد المصطلح للمفهوم الواحد، واستعمال المصطلح الواحد للتعبير عن أكثر من مفهوم في المجال الواحد. هذا عن المصطلح المشهود، أما المصطلح العربي المنشود فهو المصطلح المتميز في لفظه ومفهومه، فمن حيث المفهوم يجب أن يكون المصطلح العربي منسجما وهوية أمتنا، غير مصادم لثوابتها، ومن حيث اللفظ وجب أن يكون المصطلح عربيا خالصا أو معربا عند الضرورة، خاضعا لشروط التعريب التي حددها علماء اللغة.

إن المصطلح المنشود في حضارتنا يمكن أن يشمل المعرّب الخاضع للقواعد المعيارية الموحدة عربيا، فيتم تداوله بنطقه بأصوات عربية، وكتابته بحروف عربية. فصوت " P " في المصطلح المقترض يجب أن ينطق باء بالموحدة لا بالمثلثة، وصوت " V" يجب أن ينطق فاء بالموحدة لا بالمثلثة.

أما التداول المأمول للمصطلح العربي المنشود فهو التداول العربي العام للمصطلح العربي الماوحد، هو التداول الذي يوحّد العرب من الخليج إلى المحيط في جميع ميادين العلوم والفنون. أما التداول القطري فتداول نسبي، لأنه مهما حقق من نتائج طيبة داخل القطر الواحد لا يمكن أن يربط الصلة بين جميع المتخصصين العرب لأن فقدان "اللغة المشتركة بين الباحثين العرب في المعاهد والمؤسسات والمؤتمرات... يقطع عليهم أي طريق للتعاون العلمي فيما بينهم" أ.



حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، مصر، د.ط، 1995، ص199.

إن التداول المأمول للمصطلح العربي هو التداول داخل البلاد العربية كلها، بل وفي المنظمات الدولية التي يعتمد كثير منها اللغة العربية لغة عمل. وإن لتداول المصطلح العربي بهذه الصورة أثرا محققا في نهضة أمتنا، إذ إن المصطلحات العربية هي السبيل إلى تراكم الثروة المعرفية والإبداع الفني في جميع الميادين. ولا يجب الاستهانة بمسألة تداول المصطلح الوافد علينا من لغات أخرى، وبخاصة إذا كان دخيلا، لأن كثرة الدخيل تغير جوهر اللغة وتحيلها لغة أخرى، وتؤثر في تصورات الأمة ومفاهيمها وتشوه هويتها.

ومع أن تداول المصطلح العربي بيننا ضرورة حضارية فإنه ما يزال أملًا وغايةً لم تدرك بعد، تحول بيننا وبينها أسباب مانعة، منها:

أُوَّلًا: المانع الحضاري:

وهو أعظم مشكلات التداول المصطلحي لدى العرب، لأن تخلف الأمة، وقلة إنتاجها الفكري والمادي لا ييسر لها توليد مصطلح عربي اللفظ والمفهوم. يقول الدكتور عبد السلام المسدي: «وإذا كان مألوفا أن يدعو رواد النهضة المعاصرة إلى اقتفاء أثر الأجداد يوم نهضوا ناهلين من حياض الثقافات الإغريقية والفارسية والهندية، فلم يعقهم المشكل اللغوي، ولا ثبطتهم معقداتهم الاصطلاحية، فإن هؤلاء الرواد، وهم يتوسلون بطرق الإحياء والتوليد والاستنباط، يغفلون عن الفارق الجوهري بين مواجهة العرب اليوم للحضارة المتطورة شرق الأرض وغربها، ومواجهة الأجداد للحضارات بالأمس، بالأمس جابهوا المشكل اللغوي من موقع القوة، والتفوق الحضاري، فخلصوا من كل مركب نفسي، واليوم نواجهه من موقع منحدر».

لقد كان الأجداد ينتقون ما يشاءون من المصطلحات الأجنبية، ثم يتصرفون، في أغلب الأحوال، فيها، ويغيرون لفظها بما يناسب المعجم العربي. أما نحن اليوم فقد صار توليد المصطلحات عندنا إما اقتراضا للدخيل، أو اجتهادا لإيجاد المقابل للمصطلح الوافد. ففي ظل أزمة الحضارة التي نعاني آثارها في أغلب مجالات العلم والفن، نحن مضطرون لاستقبال ما ينتج غيرنا، وما يقذفنا به من المفاهيم بسرعة تجعلنا، في الغالب، عاجزين عن توليد المصطلح العربي المناسب لكل مفهوم وافد جديد قبل أن يشيع المصطلح الأجنبي الوافد ببننا كما هو بلفظه.

إن تخلفنا عن ركب الحضارة يمنح المصطلح الوافد قدرة على الانتشار بيننا تفوق قدرة المصطلح العربي إن وجد، فالمصطلح الوافد أسبق في الوجود، ووسائل الانتشار وسرعة التداول هي اليوم أقوى من أي زمان مضى.



ثانيًا: عدم الوعي بقيمة المصطلح العربيّ:

لقد كان من آثار احتلال الغرب للدول العربية ظهور نخبة من المثقفين العرب مغتربة في أوطانها، تفكر بفكر الغرب، وتعبر بلغاته. اتخذت موقفا عدائيا من اللغة العربية، فهجرتها، ووصفتها بأبشع الأوصاف، وادعت أنها متخلفة غير قادرة على مواكبة الحضارة الجديدة، ولا يستطيع مصطلحها التعبير عن عوالم الحواسيب، والأقمار الاصطناعية، ومجالات العلوم المتطورة.

وتلقت فئة عريضة من الأساتذة والباحثين العلوم في جامعات أجنبية بلغة أجنبية، فهجر كثير منهم العربية عن غير قصد ودون إضمار عداء، فلما رجعوا إلى أوطانهم تصدوا للبحث والتدريس في المعاهد والمؤسسات الجامعية باللغة التي تعلموا بها، ولم يهتموا بالمصطلح العربي، ولم يفكروا في تعرب العلوم.

وفي مجال العلوم الإنسانية، حيث يشيع التدريس والبحث والتأليف باللغة العربية، لا يجد بعض الباحثين حرجا في الإكثار من توظيف المصطلح الدخيل، ولا يبذل أي جهد في البحث عن المقابل العربي. وقد يكون المصطلح العربي معروفا، ولكنه يفضل المصطلح الدخيل، ويؤثره عليه. يقول حجازي: «هناك مصطلحات مستقرة في مجامع اللغة العربية، حاول بعض المغاربة تجنبها بأخذ المصطلح الدخيل وتفضيله على المصطلح العربي، مثال ذلك مصطلح (التأصيل)، فقد ذكر تارة بكلمة (إيتيمولوجيا) على الرغم من أن المصطلح العربي متداول في مجمع اللغة العربية بالقاهرة».

ثالثا: _ عدم استثمار المصطلح التراثي:

إذ ما يزال تراثنا العربي بعاجة إلى من يخلص في خدمته، توثيقًا، وتحقيقًا، وتكشيفًا، وتوزيعًا، ودراسةً. وذلك هو الطريق القويم لاستخراج المصطلح التراثي، ونشره، وتداوله والاستفادة منه.

إن المصطلح العربي التراثي ما يزال في أغلبه غير معروف. ولا شك أنه حين يعرف، ويمحص مفهومه، يغني عن وضع مصطلح جديد للدلالة على ذلك المفهوم.

وقد تنكب بعض الباحثين الطريق حينها وضعوا مقابلات جديدة لمصطلحات وافدة دون أن يستفيدوا من التراث العربي، مع أن مفاهيم تلك المصطلحات كانت في مؤلفات السلف كما هي اليوم في الدراسات الغربية الحديثة.

يقول محمود فهمي حجازي: «كان النحاة قد قسموا الأسماء المعربة إلى منصرفة وممنوعة من الصرف. وتتضح في النوع الأول ثلاث علامات إعرابية، وتظهر في النوع الثاني علامتان



عجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص227.

إعرابيتان، وقد وضع المستشرقون للاسم المنصرف مصطلح Triptote، ولا مبرر إلى إعادة ترجمته إلى العربية بمصطلح (ثلاثي إعرابي)، كما وضعوا للممنوع من الصرف Diptote، ولا داعي لإعادة ترجمته بمصطلح (ثنائي الصرف)، والصواب أن نستثمر التراث فنقول: المنصرف Triptote أي.

ولا شك أن هذا الصنيع يؤثر سلبًا في التراث العربي، فيؤدي إلى الغض من شأن البحوث العلمية العربية القديمة، ويحدث معها قطيعة، أو يؤدي -في أحسن الأحوال- إلى تعدد مصطلحي للمفهوم الواحد.

وعلى هذا الأساس يجب على الباحثين العرب أن يعتنوا بالتراث العربي، كلًّ في مجال اختصاصه، فيستندوا إليه في وضع المقابلات العربية للمفاهيم الوافدة، بل يجب أن يقدموا التراث على كل الوسائل المعتمدة في الوضع إذا اتحدت المفاهيم. على أنهم يجب أن يحذروا من إسقاط مصطلح التراث على المفاهيم المستحدثة لأدنى صلة بينهما، وإلا نشأ الاشتراك اللفظى بأن يدل المصطلح الواحد على مفهومين، مفهوم قديم، ومفهوم حديث.

رابعا: الجهل بالمصطلح العربي المستحدث:

فقد يكون الإقبال على المصطلح الأجنبي بسبب عدم مواكبة الباحثين لما تم توليده من مصطلحات. فقد ثبت أن عددًا من الباحثين لا قبل لهم بالمصطلح العربي في مجالهم التخصصي الدقيق، لا قبل لهم بالقواميس المتخصصة التي بذلت المجامع وغيرها في تأليفها جهودا كبيرة.

وإننا لو اطلعنا على مكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وحدها في مجال القواميس المتخصصة لتملكنا العجب. فقد بذلت لجان المجمع بأعضائها وخبرائها جهودا كان من أورها توليد آلاف المصطلحات في مختلف التخصصات التي أقرها مجلس المجمع ومؤتمره ثم أصدر المجمع عشرات القواميس المتخصصة في: الجيولوجيا، والفيزياء النووية والإلكترونيات، والطب، والكيمياء والصيدلة، والبيولوجيا، والزراعة، والنفط، والرياضيات، والجغرافيا، والفلسفة، وعلم النفس، والهندسة، والقانون، وغيرها.

ولكن كثيرًا من الأساتذة والباحثين - في البلاد العربية - لم يطلعوا على هذه القواميس، وليس لهم علم بوجودها أصلا. ولذلك يعمدون إلى تداول المصطلح الوافد في تخصصهم ظنا منهم أنه المصطلح المتاح. وقد يتسرع بعضهم فيرمي اللغة العربية بالعجز عن إيجاد مصطلحات الحضارة الحديثة، أو بخلو ساحة العلم منها.

ولهذا فإن من الواجب اليوم نفض الغبار عما أنتج في المؤسسات العربية من قواميس متخصصة، بنشرها على نطاق واسع بين الباحثين، وفي الجامعات والمختبرات، ثم توظيف المصطلح العربي في التدريس والبحث العلمي، والنشر، حتى يعرف ويشيع.



^{1.} حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص224.

خامسًا: غياب التّخطيط اللّغويّ الشّامل:

ما تزال لغة المحتل في أغلب الدول العربية مهيمنة أو مزاحمة للعربية في كافة المجالات والمرافق لغياب القرار السياسي الملزم باستعمال اللغة العربية في الوزارات، والشركات العامة، والجمعيات، والمنظمات، والمؤسسات التعليمية والإعلامية. أما القوانين التي تنص على استعمال العربية في بعض الدول العربية فلا ترقى إلى مستوى التخطيط اللغوى الذي يهدف إلى تعميم استعمال اللغة العربية داخل الوطن في مختلف مجالات الحياة، وتنظيم الترجمة منها وإليها، وتحديد العلاقة بينها وبين غيرها من اللغات الوطنية واللهجات المحلية لضمان وحدة البلاد.

ومثل هذا التخطيط يؤثر، ولا شك، في التداول القطرى للمصطلح العربي، ولكنه لا يثمر تداولًا عربيًّا شاملًا. ومجامع اللغة العربية بالرغم مما تبذل من جهود في مجال المصطلحات، تظل محدودة الأثر، لا تحظى قراراتها بالترحيب والقبول، ولا يستجاب لها استجابة تامة لافتقارها إلى سلطة إلزامية.

أما التداول العربي العام للمصطلح العربي، وهو الغاية والمطلب، فيفتقر إلى تخطيط لغوي شامل يراعى خصوصيات العرب، ومميزات لغتهم، وواقع أحوالهم. تخطيط يهدف إلى إحداث تغيير في النشاط اللغوى مِكِّن من بلوغ أهداف التنمية الشاملة. وباستثناء جهود اتحاد المجامع العربية، ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، في محاولة توحيد المصطلحات العربية، لا وجود لسياسة لغوية عربية شاملة تمكّن للمصطلح العربي في كل الأقطار العربية، وتيسم تداوله.

سادسًا: الموانع المتعلقة بتوليد المصطلح:

هناك أسباب ذات صلة بالمصطلح ذاته، وخاصة من حيث توليده، منها:

_ النزعة الفردية في توليد المصطلحات:

من موانع تداول المصطلح العربي فوضى المصطلحات، وتعددها لتسمية مفهوم واحد بسبب النزعة الفردية في الوضع. فوضع المصطلحات لدينا غير موكول لمجامع اللغة فحسب، وإنما هو مجال للتنافس والتسابق بين العلماء والباحثين. فهذا محمد رشاد الحمزاوي مثلا يعلن أنه ولد مجموعة من المصطلحات اللغوية، منها: (اللفظن)، و(الصرفن)، و(المعجمة). ويفتخر محمود فهمي حجازي بوضعه لمصطلحات كثيرة، منها: «علم اللغة التقابلي، وعلم اللغة التطبيقي، والبنيوية، والبنية السطحية، والبنية العميقة». ْ

وتتناسل المصطلحات هنا وهناك دون ضابط يضبطها، إذ يعمد كثير من الباحثين إلى وضع المصطلح دون التفات إلى الرصيد الموجود، فينشأ التعدد المصطلحي بأن تترادف المصطلحات



^{1.} الحمزاوي، محمد رشاد، من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص158. حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص220.

في المجال التخصصي الواحد، وذلك يؤثر - بالضرورة - في تداول المصطلح العربي لأن الترادف إن كان مصدر غنى وتنوع في اللغة العامة، وخاصة في الإبداع فإنه مصدر قلق واضطراب في لغة العلم، فالدقة من أخص خصائص أسلوب التعبير في لغة العلم، بل في كل مجال خاص. والدقة لا تتحقق بالمصطلحات المتعددة الدالة على المفهوم الواحد.

إن هذه النزعة الفردية في الوضع تنفر من المصطلح العربي الحديث، وتدفع كثيرا من الباحثن إلى تداول المصطلح الوافد.

_ القُطرية في توليد المصطلحات:

تبذل في المؤسسات اللغوية العربية جهود معتبرة في توليد المصطلح، ولكن كثيرا من نتائجها ضائعة غير مجدية، بل يمكن أن تكون مؤذية، ضررها أكبر من نفعها، لأنها قطرية تسهم في التعدد وفوضى المصطلح، إذ نلاحظ في كل المجالات شيئا من الاختلاف في المصطلح باختلاف المؤسسات والبلدان العربية.

وهذا التعدد وهذه الفوضى تدفع إلى هجر المصطلح العربي "غير الموحد"، واستعمال المصطلح الدخيل، لوحدته.

نعم هناك محاولات لتوحيد المصطلح العربي الحديث وتنميطه، ولكنها محاولات لم تؤت أكلها – إلى الآن - بالشكل المطلوب. وقد آن الأوان للتفكير الجاد في توليد مصطلح موحد توزع فيه المهام بين المؤسسات اللغوية العربية تفاديا للتكرار وضياع الجهود والوقت والمال، ثم توضع المصطلحات الموحدة موضع التطبيق العملي العلمي اليومي في مداولات العلماء والمدرسين والدارسين ومناقشاتهم ومختبراتهم وتنتشر في أوساطهم وبيئاتهم.

_ البطء في توليد المصطلح:

من أهم الأسباب المانعة لتداول المصطلح العربي البطء في توليده، فلا يظهر المصطلح العربي، في الغالب، إلا بعد شيوع المصطلح الأجنبي المقابل الذي يفد إلينا مباشرة مع وفود ما يسميه من المنتجات المادية أو الفكرية. يقول الدكتور رمضان عبد التواب: «كم من ألفاظ وضعتها المجامع العربية لمستحدثات الحضارة غير أنها لم تتجاوز أبواب هذه المجامع. فمثلا المذياع ُلراديو، والحَيَالَة للسينما، والمأوى للبنسيون، والطارمة للكشك، والمُلوَّحةُ للسيمافور، والمِرناة للتلفزيون، وغيرُ ذلك - ألفاظ وُلدت ميتة لهذا... وفي رأيي أنه لو صاحب دخولَ المخترَع الأجنبي إلى البلاد العربية وضع لفظ عربي له، وعناية وسائل الإعلام والصحافة بالدعاية له لقضى على الكثير من هذه المشكلات من أساسها».



^{1.} عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة 1999م، ص368.

خاتمة:

إن المصطلح العربي إذا أريد له أن يشيع ويتداول لابد أن تتحقق فيه الأصالة، والاختصار، وسهولة النطق، والدقة، والأحادية، فلا تكون له مرادفات، ولا يكون متعدد المفاهيم في المجال الواحد. ثم لا بد من توثيق المصطلح العربي في بنوك المصطلحات، والقواميس المختصة، والدوريات، والكتب العلمية.
ولقد بذلت جهود معتبرة في هذا المجال هي في حاجة إلى الدعم، والاستثمار الجيد، بأن تعرف، ويتم توظيفها في التعليم، ومراكز البحث، ومؤسسات الترجمة، والجمعيات الثقافية، المجتمع العربي.



- المصادر والمراجع:

 _ حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1993.

 _ الحمزاوي، محمد رشاد، من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا، دار الغرب الإسلامي، 1988.

 _ عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1994.

 _ المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، القاهرة، د.ط، 1984.

 _ قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، القاهرة، د.ط، 1984.



نحو تأصيل للسُّباسة اللّغويّة "
" قراءة جديدة للّخن في الثقافة العربيّة
أ.د / محمّد جودات
جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة
mohamed.joudat@mbzuh.ac.ae



سلطة سيميولوجية منذ البدء:

بين الخطأ والتدليس مسافة كبيرة؛ تنبه لها القدماء منذ خطأ طفلة أبي الأسود الدؤلي، ولعل النص التراثي كان أبلغ بنسبة الخطأ للطفلة؛ ونسبة الوضع للكذابين مع سبق الإصرار والنية المبيتة التي دبرت بليل المكيدة لتحريف النص؛ كما في الثقافات الدينية السابقة التي كتبت (الكتاب بأيديهم) مدعية أنه (من عند الله وماهو من عند الله)، وللمسافة المدركة للزيف أن تضع الحدود بكل حزم؛ وتعتبر تدقيق النص وتحقيقه ووضع ميكانيزماته الصحيحة فوزا عظيما، ف(لا تبديل لكلمات الله: ذلك هو الفوز العظيم).

إن كون النص مُبأرًا في هذه الثقافة الدينية؛ التي خبرت محو الأصول والنصيات السابقة في الديانات السماوية قبل الإسلام؛ وإبدالها بما تُغوي به المصلحة الدنيا ضدًّا على الحقيقة العُليا؛ حتمت متابعة "المتن" و"السند"، ودراسة نصف مليون شخصية في علوم خاصة ودقيقة ضمن علوم "الجرح والتعديل"، لوضع سياجات متينة لحماية النصوص و"سلسلاتها الذهبية"، حتى يبقى النص المقدس؛ وسيرة الرسول الأكرم -صلى الله عليه وسلم-؛ في شعلته، وبهائه، ونورانيته، التي يغنيها، ويقويها اتصال السند علمًا "وتبركًا"، دون وساطة تُبهت شُعلتها وتُطفئ نور الهُدى.

في نسب الكلمة ودلالاته:

جاء في لسان العرب: "اللَّحن من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولُحون. ولحَّن في قراءته إذا غرَّد وطرَّب فيها بألحان،... وفي الحدِيث: «اقرؤُوا الْقُرْآنَ بلُحون الْعَرَبِ». يحيل "اللحن" هنا، على معاني الغناء، وترجيع الصوت والتطريب. كما يحيل على التورية، والفطنة، وغيرها.

أليس غريبًا أن تجمع شجرة النسب تناقضات ومفارقات اللحن، فتكون مجانبة الصواب، متصالحة مع الطرب والألحان؛ كما الغواية التي تصاحب الإعلانات الإشهارية الجميلة، التي تطوع المتلقي إلى درجة يصير فيها سيد "العبودية المختارة" للمنتوج، الذي يقرأ عن أضراره، ولا بتوقف عن إدمان استهلاكه.



[.] [. يروى عن أبي الأسود الدؤلي: أن ابنته قالت له: ما أحسنُ السماءِ، فقال لها: نجومها، فقالت: إني لم أرد هذا، وإمَّا تعجَّبتُ من حُسنها، فقال لها: إذَّا فقولي: ما أحسرَ، السهاءَ،

^{2.} ابن منظور، لسان العرب، مادة (لحن).

إن اشتراك هذه الدلالات المتباعدة في ملفوظ واحد- وهو العدول عن الصواب، ومخالفة قواعد الكلام العربي؛ عبر "إمالة الكلام عن جهته الصَّحيحة في العربية"، أو عن دلالات في لحن القول [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ]" قد تكون حمَّالة أوجه -هي الخطورة المركزية التي تحملها الدلالات؛ موهمة كل متلق عبر طرقها في اللحن لحمل محمولات لاحنة قصدًا. فيكون الاستعمال "الجميل" الملحون بدلالتيه المتناقضتين- والذي يشيع بقصدية بين العامة من الناس بجماليته التي تنساب في اللغة اليومية، ويتسرب بعدها- مؤثرًا وحاكمًا نفسيًّا ودلاليًا في السلوك اللغوي؛ وبعده العادة اللغوية وتربية الذوق والسلوك في نهاية المطاف.

1 _ في كرونولوجيا نسب اللحن:

أ_البيئة:

كان اللحن في اللغة العربية منذ بدء الإسلام، واستفحل في فترة حكم الأمويين؛ نتيجة مخالطة العرب للعجم الذين تعلموا لغة الفاتحين، وكانت لغتهم الثانية بمحمولاتها وترسيباتها التي احتفظت باللغة الأصل. ولما كانت اللغة العربية لغة العلوم والآداب فإن ضرورة تعلمها كانت هدفًا... إضافة إلى علاقتها الدينية، وتعالقاتها بنزول القرآن الكريم.

وقد أدت المخالطة بين العرب والعجم إلى إهمال الإعراب الذي هو تغيير أواخر الكلم لطبيعهة تعاملهم مع لغاتهم الأصلية وكثرة ما كان يواجهه المتكلمون باللغة العربية "الجديدة" من صعوبات فونولوجية وبلاغية ولغوية، فسحت مجالات عديدة من الخطأ، يقول الزبيدي: «ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها».

وقد كان لتنوع مسارات اللهجات ضروب الإمالات ومختلف الأجراس والنغمات... أثر في إنتاج أنواع من اللحن، كالتصحيف والتحريف؛ خصوصًا مع خصوصيات العربية -تفخيمًا، وترقيقًا، وإشباعًا، ونبرًا، وإثباتًا، وحذفًا...- لمجالات النطق المختلفة عن البيئات اللغوية السابقة. كما كانت اللغة العربية المعتقة باستعمالاتها البلاغية من الاستعمالات المجازات والاستعارات، التي أصبحت من المستعمل اللغوي المتداول، والمفهوم لدى العربي -بمختلف طبقاته المعرفية-، التي يصعب على الدخيل تمثّلها، وفهم سياقاتها التواصلية.

أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ج/5، ص239.

^{2.} لسان العرب، مادة، (لحن). ينظر أيضًا تاج العروس للزبيدي، مادة (لحن).

^{3.} الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص11.

وهكذا اتسعت رقعة اللحن وكثرت أسبابه، وأنتجت لغة واقعية -إن صح هذا التعبير-لحاجات التواصل رغم المغلق البلاغي والدلالي، فكانت الحاجة لحماية اللغة وموروثاتها، وصيانة التراث العربي وهويته.

ب _ التأريخ بحثا عن أصل:

لم تخل ثقافة من اللحن، فحتى العصر الجاهلي، وقد أفرد ابن جني بابًا في "الخصائص" سماه: "باب في أغلاط العرب"، ذكر فيه قول أستاذه: "إنما دخل هذا النحو (أي الغلط) في كلامهم؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها" .

وإن كان منطق التحولات اللغوية يؤيد أن اللحن تولد في العصر الإسلامي، بسبب الانفتاح على الثقافات الأخرى، ودخولها للمجال الجغرافي التابع للإسلام، ودخول الثقافات غير العربية في الثقافة الإسلامية تواصلا إقامة بكل تجلياتها النصية والعقدية... ولعل الأثر الذي يروي "أرشدوا أخاكم فقد ضل". أو "أرشدوا أخاكم فإنَّه قد ضلً" ، لدلالة صريحة لتتبع المؤسسة الدينية لمستويات اللحن على مستوى التداول اليومي؛ لمعرفتها خطورته. في ثقافة نصية أساسًا، ومدركة للتحولات النصية في الثقافات الدينية السابقة ومآلاتها في محو الحقيقة الإلهية وتشويهها.

ويبدو أن اللحن أخذ في التفشِّي والانتشار فأصبح أمره معروفًا، فقال النّبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك بحين: «أنا أعرب العرب، ولدت في بني سعد فأنَّى يأتيني اللحن» . وروي عن أبي بنكر الصديق -رضي الله عنه- أنّه كان يقول: «لأن أقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ وألحن».

تضعنا هذه النصوص أمام مفارقة دقيقة؛ هي كون اللحن ليس لصيق الاتصال بالآخر من العجم وحديثي العهد بالإسلام. ولكنه يحمل دلالة أحرى بالباحث أن ينتبه إليها: وهي هذه اليقظة التي تمارسها النقدية الانطباعية في عدم تقبل الخطأ في ثقافة نصية أساسًا: تؤسس الانتماء على انتساب للفصيح. من هنا نفهم كتابة سيرة الخطأ في هذه الثقافة وعدم اعتباره عامرًا لا ينتبه إليه.



^{1.} أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد على النجار، ج3، ص383.

^{2.} المصدر نفسه، ج2، ص8.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «مَن كذب على متعمِّدًا، فلْيتبوأ مقْعده منَ النَّار».

ولعل للمقولة المنسوبة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- دلالة بالغة ولو على مستوى صياغتها: «تعلّموا النَّحو، فإن بني إسرائيل كفروا بحرفِ واحد، كان في الإنجيل مسطورًا، وهو: أنا وَلَّذْتُ عيسى، بتشديد اللام، فخففوه، فكفرواه، ومثل هذه النصوص نعتمدها في هذا السياق حتى في الحالات التي لا تتم مقاربتها من حيث صحة سندها ومتنها، فمجرد صياغتها في الثقافة العربية دال جوهري يشير إلى مركزية الانتباه للنصوص بكل انتماءاتها.

الطبراني عن أبي سعيد الخدري، ص23.

^{5.} تفسير الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص1-3.

حيث تروي النصوص أن أول لحن سمع بالبادية: "هذه عَصَاتِي". بل إن عدم تقبل الثقافة المؤسسة للإسلام منذ بدايتها ذهب إلى أبعد من ذلك حين أرَّخ لـ:"أول لحن سُمع بالعراق حيِّ على الفلاح (بكسر ياء حي)". و«روي أن أعرابيًا سمع قارئًا يقرأً: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾، (بجرً اللَّم في (رسُوله)، فتوهَّم عطفه على (المشركين) فقال: "أو برئ الله منْ رسولِه؟". فبلغ ذلك عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فأمر أن لا يَقرأ القرآن إلا مَنْ يُحسن العربية».

فهذه النصوص ولعل معظمها لم يوثق لأنه لغة شفهية واستعمالات يومية- يؤكد أن اللحن كان مثار اهتمام منذ العهد الإسلامي تأصيلًا ومقاربةً.

ويمكن أن نجد في ثنايا وبطون أمهات الكتب إشارات دالة على أكثر من مشهد ثقافي يستنكر اللحن، فقد ورد أنه «دخل رجل على سليمان بن عبد الملك -وقيل على زياد بن أبيه- فقال: "يا أمير المؤمنين، إن أبينا هلك وترك مالٌ كثيرٌ، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه". فقال زياد: "ما ضبعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك"».

وكان يمكن لمشهد مثل هذا أن يكون عابرا لولا العناية المركزية من السلطة الحاكمة وغيرها باللغة ووعيها بما يسميه الباحث الأمريكي "جيمس طولفسون" أليوم "سياسة لغوية".وضمن علم للسانيات الاجتماعية ضمن ما يسميه لويس جون كالفي Calvet "حرب اللغات" أ

فالبعد الدلالي الذي جعل العلماء ورجال السلطة الحاكمة طبقة واحدة في التصدي للحن -رغم تقابلاتها في كثير من المواقف- رمزية تنفرد بها البنية الثقافية العربية، التي لم تقبل التحريف أو التصحيف أ. وهي سياسة لغوية تجمع السلطة الحاكمة والعلمية في الانتباه للحن مهما كان مصده، ولو من شخصيات "هامشية" كما في النص سابق الذكر، هذا -بحق- دال سيميولوجي ومفاهيمي يحتاج إلى مزيد دراسة، إذا أفردت له نصوص -وما أكثرها في الثقافة العربية التي تؤصل للحن وأول من لحن-.

بل إن هذه الظاهرة لم تستثن حتى طبقات "المركز"، حيث لا يسمح أمام هذه الخطوط الحمراء، التي لا تسمح باللحن في كل السياقات؛ لأن التصالح من اللحن قد يفضي إلى المساس لاحقًا بالنص العُلوي المقدس.

^{1.} سعيد الأفغاني، تاريخ النحو، ص9-10.

^{2.} سعيد الأفغاني، تاريخ النحو، ص11.

عيمس طولفسون: السياسة اللغوية وخلفياتها ومقاصدها، ترجمة: محمد الخطابي، مؤسسة الغني. 2007.

[.]Louis Jean Calvet: La Guerre des Langues et les politiques linguistiques. Hachette litteratures. France. 1999 . ينظر: 4

ابن فارس، مقاییس اللغة، ج1، ص113.

من هنا نفهم ما أورده أحمد ابن فارس في معجمه (المقاييس) أن الحجَّاج -على قدر فصاحته- يتهيّب وقوع اللّحن، ويسمح بقبول آراء العلماء وملاحظاتهم، قال يومًا لابن يعمر: "أتسمعني ألحنُ?"، قال: "الأميرُ أفصحُ الناسِ". وقال يونس: "حرفًا". قال: "أين؟" قال: "في القرآنِ الكريمِ". قال: "ذلك أشنعُ له، فما هو؟"، قال تقول: "﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاَؤُكُمْ وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾". قرأ: (أحبُّ) بالرفع، كأنه طال عليه الكلام فنسي ما ابتدأ به، والصواب أن يقرأ: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ﴾ بالنصب على خبر كان، فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب.

وظل اللحن متفشيًا -في الخاصة والعامة- تفشيًا مذمومًا، ومن الأقوال التي قالها الخلفاء في ذمِّه قول عبد الملك بن مروان: «اللحنُ هجنةُ الشريفِ». وكان يُقالُ: «اللحنُ في المنطقِ أقبحُ من آثار الجذري في الوجه» ؛.

إن هذه المركزية التي تمارس نقدية استثنائية في ثقافة عربية من "الإعراب" كانت مؤهلة لتأسيس مجالات تأليفية في هذا السياق، واعتباره مركزية لتأسيس قواعد اللغة، وظوابط حمائة النصة في كل تحلياتها.

وبالرغم من ذلك فقد ذكر القلقشندي: "...أن اللحن قد فشا في الناس، والألسنة قد تغيرت، حتى صار التكلم بالإعراب عيبًا، والنطق بالكلام الفصيح عِيًّا" أ. وإن كان هذا المنحى تفنده مرويات عديدة؛ حيث روي أنَّ أعرابيًا دخل السُّوق فوجدهم يلحنون فقال: "العجب، يلحنون ويربحون".

وقد فشا اللَّمن زمن الأمويين، وانتشر بين العامة والخاصة، ولم يسلم منه الأمراء والوزراء وأهل الرِّياسة، فقد قيل: إنّ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك كان لُحَنَةً. رووا أنّه خطب النَّاس يوم عيد، فقرأ في خطبته: (ياليتُها كانت القاضية) بضم التَّاء، فقال عمر بن عبد العزيز: "عليك وأراحنا منك". ومن هذه المرويات ما أورده أبو عثمان الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين): حيث يشير أنّ كُتُب الوليد كانت تخرج ملحونة، فسأل إسحاقُ بن قبيصة أحد موالى الوليد: «ما بال كتبكم تأتينا ملحونة، وأنتم أهل الخلافة؟» أ.



^{1.} المصدر نفسه، ص11-12.

^{2.} القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص173.

^{3.} الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص221.

وخطب الوليد في أهل المدينة، وقال: "يا أهلُ المدينة" -بضم اللام-. "وأحصوا اللّحّانين من البلغاء، فعدّوا منهم خالد بن عبد الله القسري، وخالد بن صفوان، وعيسى بن المدور، وكان الحجّاج بن يوسف يلحن أحيانًا.

والحقيقة أن هذه النصوص وغيرها كثير يشير إلى الانتباه للظاهرة، واعتبارها ظاهرة جديرة بالنقل والتعجب والتحليل. بمعنى أن الثقافة العربية استهجنت الخطأ وتتبعت مساراته.

2 _ اللّحن وأبعاد السّباسة اللّغويّة:

إن النصوص التي تخبر أن اللحن تسرب إلى ألسنة أكثر العلماء، -فتساهلوا في أمره، إلى أن قال ابن فارس: «فأمًّا الآن فقد تجوَّزوا، حتَّى إنَّ المحدِّث يحدِّث فيلحن، والفقيه يؤلِّف فيلحن، فإذا نُبِّها قالاً: "ما ندري ما الإعراب، وإغًا نحن محدِّثون وفقهاء"»- تحتاج إلى نوع من التدقيق، فنص الأصمعي: "أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي، و عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية، والحجاج أفصحهم"؛ يدل على التمييز الذي كانت تقيمه الثقافة العلماة للذين ضبطوا اللغة حتى من خارج طبقة العلماء والمتخصصين.

بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك حيث "كان النّاس في صدر الإسلام يجتنبون اللحن فيما يقولونه أو يقرأونه أو يكتبونه اجتنابهم بعض الذنوب"، وهو بعد قيمي اجتهدت البنية الثقافية بإلصاقه بالبعد الديني؛ لأنهم بنوا ثقافة لا تفصل الهوية عن اللغة. وهذا بعد من صميم السياسة اللغوية سابق الذكر. فهم "ورثة " لغة القرآن والدين. ولعل الذي يلحن في تلاوة القرآن وينطق بكلمة "أستغفر الله" يدرك ضمنيًّا أن الأمر ليس خطأ لغويًّا؛ مادام الاستغفار يعقبُه. من هنا نفهم معنى ما «روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنّه جعل اللحن من الافتراء. وكان عمر بن الخطاب يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ في غير اللغة». ويروى أنّ عمر بن عبد العزيز كان يرفض اللّمن ولا يستسيغه من أبنائه ورعيته، وربًا لجأ إلى تأديب اللّاحنين.

فالسّلطة الحاكمة كانت تدرك خطورة المحو "للأصول" اللّغويّة وتدرك تعالقاتها مع الهويّة. حتّى نُقل عن خليفة أمويًّ "أُخرِجوا هذا اللَّحّان عني". ُ الأمر الذي كانت تشترك فيه مع السلطة الدينية. فقد روي عن الإمام أحمد أنه كان يرفض اللحن بشدة؛ إلى درجة يؤدّب فيها أولاده على اللحن، وقد ضرب ابنته زينب بسببه.



^{1.} وروى الخطيبُ البغدادي في السياق ذاته أن عليٌ بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان يضرب الحسن والحسين -رضي الله عنهما- على اللَّحن.

^{2.} يروى أن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، كان في مدينة دابق. فتقدّم منه رجلٌ وقال: "يا أمير المؤمنين، إن أبينا هلك وترك مال كثير، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه". فغضب الخليفة الأموي؛ لفداحة اللحن الذي ورد في كلام الرجل، فقال له: "فلا رحم الله أباك ولا نيح عظام أخيك، ولا بارك الله لك فيما ورثت". ثم يأمر الخليفة بإخراج الرجل من مجلسه بقوله: "أخرجوا هذا اللّخان، عني". ويروى عن عبد اللك بن مروان قوله: «الإعرابُ جمال للوضيع، واللحن هجنة على الشريف. وعن سعيد بن سلم قال: دخلتُ على الرشيد، فبهرني هيبةً وجمالًا، فلمًا لحن خفّ في عيني». وهي دلالات تؤكد سياق تعالق السلطة والهوية اللغوية كما أوضحنا.

ومخافة اللحن وتفشيه، كانت تستدعي أن تكون حتى الطبقة المحيطة بالسلطة؛ مراعية لسياق الامتداد الثقافي الفصيح والنقي، من هذا المنطلق والمنطق نفهم "أنَّ أحد وُلاة عمر -رضى الله عنه- كتب إليه كتابًا لحن فيه، فكتب إليه عمر أن قنِّع كاتبك سوْطًا".

وحسب هذا الطرح الذي نتبناه مكن أن نفهم دلالات اللحن التي كانت مثابة سيرة للرواد قبل غيرهم، فالثقافة العربية تنقل وتصنف الذين لحنوا وتخلدهم في المرويات، كما خلدت مشاهد ثقافية انسحب فيها كبار العلماء والشعراء من المجالس أو المناظرات، أو عزلوا من مواقعهم السلطوية أو العلمية أ.

ولعل مرويات ياقوت الحموي عن أسباب عزل العباس بن محمد بن موسى عن الكوفة، كانت لسوء اختياره كاتبًا في مستوى الرسالة التي يجب أن تحتم عليه شروطًا علمية تبعده عنم اللحن؛ لأنه ناقل وناشر للهوية اللغوية و-عبرها- المحمول المفاهيمي.

وقد كان التداول قامًا عن عامل بالبصرة "لا يلحن" وآخر "تسقط هيبته" إذا لحن في كلامه. وما أكثر النصوص التي تعبر عن هذه المعاني التي صارت شوارد وشواهد من قبيل "حديث الخلفاء ولحن السقاءات" في قصة دخول خالد بن صفوان التميمي على بلال بن أبي بردة. ويمكن أن نجد في المرويات العربية ما يمكن أن نسميه سيرة للحن، مصحوبة بالمشاهد والشواهد.

وهي نصوص تحتاج تحليلات سيميولوجية وسميائية؛ تضيء الجوانب اللغوية باعتبارها استراتيجيات وسياسة لغوية بامتياز. فليس من قبيل الصدفة أن توثق المشاهد في محيط السلطة الحاكمة والسلطة الدينية وتؤسس لتجريم الخطأ وتحريهه "كذبا متعمدا" أن وليس إلا استراتيجية وسياسة لغويتين تدركان بُعد التأسيس المفاهيمي والسياج المعرفي لتداول المنظومة المعرفية، والدفاع عنها، وتأسيس العلوم المصاحبة لها تنظيرًا وتدريسًا وإفتاء...

وهذا ليس غريبًا، في هوية تنوي قيادة العالم نحو كونية مبنية على دين خاتم. فالمؤسسة الحاكمة تحتاج إلى سياسة لغوية موازية للتغيير الاجتماعي، الأمر الذي يستدعي تخطيطًا لغويًّا صارمًا يحيط بالهوية الجديدة، ويدعم مساراتها اللغوية التي ستتكفل بحمل الرسالة. ومثل هذه القضانا تشر إليه الدراسات الغربية ولو بطرق مختلفة.

ولعل إفراد تخصص في الثقافة العربية يعتني بالخطأ اللغوي تتبعًا وتأليفًا لخير دليل يؤكد البعد الاستراتيجي الذي خضعت له اللغة.



^{1.} يروى أن الكسائي دخل على قوم، وقال لهم: "قد عييثُ". فقالوا له: "أتجالسنا وأنتَ تلحن؟!" فقال: "وكيف لحنثُ؟". فقالوا له: "إذا كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة والتحرّر في الأمر فقل عييثُ. وإن كنتَ أردتَ من التعب فقل أعييثُ"....

^{2.} يقول ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة": «وقد كان الناسُ قديمًا يجتنبون اللحن فيما يكتبونه، أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب».

ينظر: كوبر، روبرت، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود، مجلس الثقافة العام، 2006.

- من هذا المنطلق ألفت أعمال كثيرة منذ صدر الإسلام، من بينها:
 - ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت 198هـ).
- إصلاح المنطق، ليعقوب بن إسحاق الشهير بابن السكيت(ت 244هـ).
 - لحن العامة، لسهل بن محمد السجستاني.
 - "ما بلحن فبه العامة، للفراء.
- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن حسن الأصفهاني (ت نحو 360هـ).

- ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 216هـ).
 - أدب الكاتب، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم.
- التنبيهات على أغاليط الرواة، لعلى بن حمزة البصري (ت 375 هـ).
 - لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي (279هـ).
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري (ت 382هـ).
 - تمام فصيح الكلام لأحمد بن فارس (ت 395هـ).
 - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى (ت 501هـ).
 - درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري (ت 516هـ).
 - شرح درة الغواص، للشهاب الخفاجي (ت 1069هـ).
 - كشف الطرة عن الغرة، لمحمود الألوسي (ت 1270هـ).
 - وقد كان الذوق العام الذي أسسته الثقافة العالمة يسير في الاتجاه نفسه:
 - حيث يقول الشاعر على بن بشار:
- رَأَيْتُ لِسانَ المرْءِ آيَةَ عَقْلِهِ *** وعُنْــوانَهُ فَانْظُرْ مِاذَا تُعَنْوِنُ وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ *** فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ
- ويقول إسحاق بن خلف: لَحْنُ الشَّرِيف يُزيلُهُ عَنْ قَدْرِهِ *** وَتَرَاهُ يَسْقُطُ مِنْ لِحَاظِ الأَّعْيُن
- لحْنَ الشَرِيفِ يُزِيلُهُ عَنْ قَدْرِهِ *** وَتَرَاهُ يَسْقَطُ مِنْ لِحَاظِ الْاغَيُن ويقول أيضا:
- النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ *** وَالْمَرْءُ تُعْظِـمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ ويقول الكسائي:
- ِ كُمْ وَضِيــــعٍ رَفَعَ النَّحْوُ وَكَمْ *** مِنْ شَرِيــفٍ قَدْ رَأَيْنَاهُ وَضَعْ
 - 3 مؤسسة الكتابة والنشر:
- لما كانت العناية بالنص امتدادا ثقافيا ودينيا وسلطويا، وبؤرة اهتمام السلطة الفعلية



والرمزية؛ فإن مهنة نشر المعرفة لم تكن مجرد مهنة كما لم تكن وظيفة الديوان مجرد تقنية عابرة: مادام يعزل العامل إذا أساء اختيار كاتبه وصورته الإعلانية بل وصورة المؤسسة الحاكمة.

أ_ تقنيات واجتهادات لقوالب الكتابة:

رمزية دالة تلك التي شكلتها تدخلات السلط الحاكمة في رسم مسار الكتابة، فقد طلب زياد بن أبيه، أمير العراق (سنة 67هـ) من أبي الأسود الدُّوَّلِي أن يضع علاماتٍ في المصاحف، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفل الحرف، والضمة نقطة من الجهة اليسرى، وكانت نون التنوين تكتب فاستبدلها بنقطتين تبعًا لحركة الحرف. وهو فعل رمزي دال تدخلت فيه السلطة الحاكمة مخافة تفشي اللحن الذي صاحب الامتداد اللغوي مع تداخل الثقافات الجديدة وإقبالها على القرآن تلاوةً وتعلُّمًا... وهي بحق تتبع ضمن سوسيولوجيا القراءة تنبهت له السلطة الحاكة والسلطة الدينية، وكان هذا ضرورة اجتهاتدية تراعي الأبعاد اللغوية وتربطها بالمصلحة التي أباحت المحظورات... ولم تكن هذه الأموامر السلطوية تفردا من حاكم مثقف، بل توالت للدلالة على كونها سياسة لغوية كما أسلفنا الذكر، حيث أمر الحجّاج - في عهد خلافة عبد الملك بن مروان - نصر بن عاصم ويحيى أسلفنا الذكر، حيث أمر الحجّاج - في عهد خلافة عبد الملك بن مروان - نصر بن عاصم ويحيى بن يعْمُر بوضع نقاط الإعجام بهداد آخر، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبي الأسود.

ثم توالت الاجتهادات التقنية بعد التجريب العملي حتى وصل الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى الشكل الذي تخلص فيه من نظام النقاط في الشكل، فالضمة وضع لها واوًا صغيرة ووضع للتنوين اثنتين، والفتحة وضع لها خطًا صغيرًا فوق الحرف، وفضل "إلحاق النقاط بالحروف لتمييز المتشابه منها عن بعضها بعضا بقصد صحّة القراءة، وحماية القرآن الكريم". وقد كانت كل صيغ التعبير عند القدماء عن هذه العملية مرتبطة بصحة نقل القرآن. وكان طبيعيا أن سيرة اللحن تشكل تهديدا للنص الأصل ولم تكن عملية منفصلة عن الهوية والسلطة والنص الديني.

ب _ علاقة الوراقة والنسخ بالتصحيح اللغوي:

تناولت المصادر "الوراقة" بوصفها مهنة ارتبطت "الوراقة" - في بدئها بوصفها مهنة - باحتراف نسخ القرآن الكريم تكسُّبًا، فقد جاء في "الفهرست" لابن النديم (ت384هـ) أن الناس "كانت تكتب المصاحف بأجرة"، والحقيقة أن هذه المهنة لم تكن مجرد مهنة نسخ تكسبي أو غيره، لأنها لم تخرج من تحت وصاية السلطة ومراقبتها منذ عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب



وهو المنظر الكبير في اللغة والشعر واكتشاف تركيبة الإيقاع العرى.

-مؤسسا للسلطة الحاكمة والدينية في آن-، ومنذ مطر بن طهمان (ت 129هـ) الذي اشتهر بـ: "مطر الوراق"، ويقال إنه كان من موالي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ومن "أول من كتب المصاحف في الصدر الأول -ويوصف بحسن الخط- خالد بن أبي الهياج"، حيث يجب الانتباه إلى أنه أيضًا كان يعمل "ورّاقا" للخليفة الوليد بن عبد الملك (ت 96هـ).

ثم توسعت المهنة برعاية مؤسساتية طبعًا لتنتقل من نسخ القرآن إلى جمع الحديث النبوي، فتاوى الصحابة والتابعين، ومصنفات في أنواع العلوم المؤسسة، "الموطأ" للإمام مالك بن أنس، و"الرسالة" للإمام الشافعي، وصولا إلى تدوين لغات العرب وأشعارها "المفضليات" و"الأصمعيات".

فالمؤسسات الحاكمة والتنظيرية كانت المؤطر والمخطط الذي عارس التوجيه والرقابة على قنوات التحول التي ستطبع مسار الثقافة العربية والإسلامية. وقد ضمت أمهات الكتب تفصيلات مهمة حول هذه المهنة وتطورها وسوسيولوجيا حضورها مع أبي حيان التوحيدي وابن خلدون والجاحظ الذي كان "يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر".... وصولا إلى الأندلس الذين وصفوا بأنهم"أحذق الناس في الوراقة"، ولكن الترابط مع السلطة بقي مركزا في هذه المهنة التي مكن اعتبراهما إعلام العصر:حيث تشير المصادر إلى أن القاضي والوزير القرطبي أبا المطرف ابن فطيس (ت 402هـ) اتخذ "ستة وراقين دائمين" ينسخون له الكتب. وأن لكل خليفة وعامل ديوان ومجلس علمي وشعراء كمافي الشرق العربي. ولعل ما أوردته المصادر أن من العلماء من عمل وراقا مثل الإمام أحمد بن حنبل(ت 241هـ) الذي كان "ينسخ الكتب للناس بأجرة" والإمام النحوى القاضي المعتزلي أبو سعيد السيرافي (ت 368هـ) كان "ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها" لدلالة تدخل في السياق نفسه دون النظر إليها من وجهة التكسب فقط. وهي تشبه إلى حد بعيد تبعية وزارة الاتصال إلى السلط المركزية في عصرنا. وليس تأليف العلماء في "أخبار المصمِّفين" وفي "شرح ما يقع من التحريف والتصحيف" إلا دليل على سلطة الرقابة وصحة هذا المنحى الذي أشرنا إليه. ومن الأدلة على هذا ما ذكره ابن الجوزي أنه كان "للوراقين سوق كبيرة وهي مجالس للعلماء والشعراء" بالرصافة من بغداد.

كما ذكر المقريزيّ أنّ القاهرة ضمّت سوقًا لأصحاب الكتب من الورّاقين، "وما برح هذا السّوق مجمعًا لأهل العلم يتردّدون إليه"، وهي سلط رقابة لم تترك المجال للمهنة أن تكون بعيدةً عن المؤسّسة. من هنا نفهم تدخّل الفقهاء ومطالبة "السّلطاتِ بمنع الورّاقين من تداول ونشر كتب معيّنة بين النّاس". فكانت الرّقابة النّصّيّة تمنع "الضّلال"، وتضع مقاييس

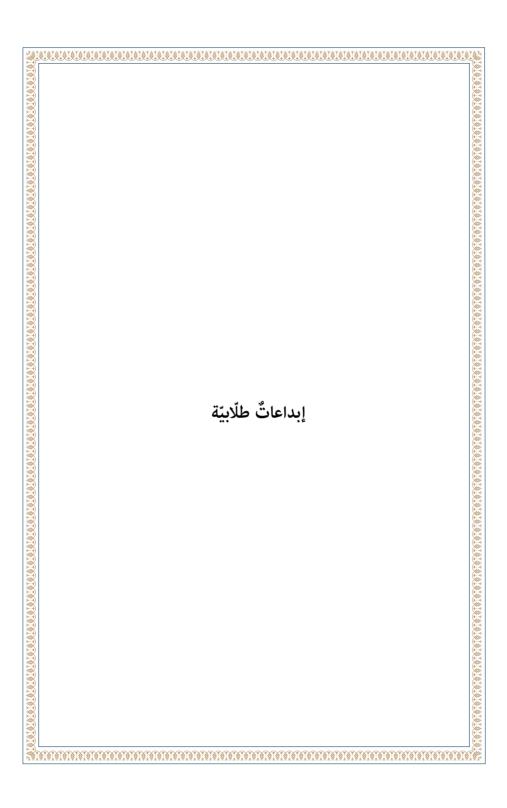


النّشر حسب ماتراه. فوضعت مقاييس الوِراقة وتدخّلت السّلطة مباشرةً حتّى "أمر السّلطان" المعتمد العبّاسيّ أن "حُلّف الورّاقون ألّا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة".

خاتمة:

إنّ قراءة السِّياسة اللَّغويَّة في الثَّقافة العربيَّة القديمة مكن أن يكون مدخلًا جوهريًّا لتأسيس سياسة لغويَّة معاصرة تتغيًا فهم التَّرابط بين الهويّة واللُّغة في مسار المعرفة العربيّة والإسلاميّة؛ وذلك باعتبار الخصوصيات التي تتعالق فيها العربيَّة مع الدِّين الإسلاميّ، ومن خلاله التّشاكل المفاهيميّ بين النّصِّ المعجز بلفظه ومعناه. وهي ثنائيّة جعلت التّعامل مع اللّغة العربيّة استثناءً ثقافيًّا تميّزت به الثّقافة العربيّة؛ لأنّها اعتبرت الإعجاز في المحمول النّصيّ ولغته، فكانت السِّياسة اللّغويَّة مسارًا تتداخل فيه السلطة الدِّينيّة والدّنيويّة: تأسيسًا لمارسات نصِّية لا تفصل "اللّغة" عن السّياقات المصاحبة لها.





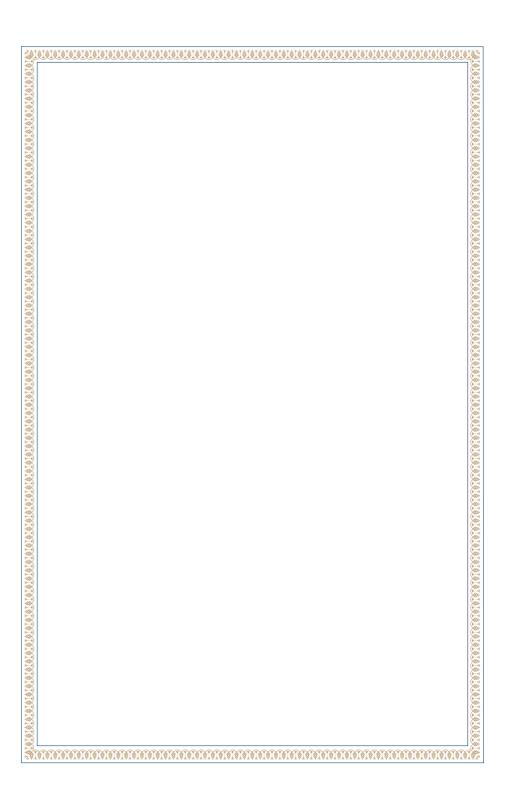






وحَوَتْ مَعانِيَ لَيْسَ تَحْويها الكُثُبُ *** يا مَن تَرَدُّدَ إِسْمُ ها بَيْنَ السُّحُبُ يا وَاحْقَ الشَّحُبُ يا وَاحْقَ الشَّحُبِ وَالشَّمُ عَلَيْكِ مِن *** كُثْلُ الذي في الشَّعْهِ كانَ أَو الأَدَّبُ في الشَّعْهِ الشَّعْهِ الشَّعْهِ الشَّعْهِ الشَّعْمِ كانَ أَو الأَدَبُ في الشَّعْهِ الشَّعْهِ الشَّعْبِ المَّتَبُ وَمَهِ عَلَيْلُ المَّنْ في الشَّعْهِ الشَّعْبِ المَّتَبُ في الشَّعْبِ الشَّعْبِ المَّقِبُ المُعْبِ المَّاتِ الشَّعْبِ المَّقْبِ المَّقِبِ المَّالِي المَّقِبِ المَّقِبِ المَّقِبِ المَّقِبِ المَّقِبِ الللْمُلِيلِ المَالِيلُولِ المَلْفِيلِ المَّقِبِ المَّقِبِ المَّقِبِ المَّالِيلُولِ المَلْفِيلِ المَلِيلِ المَلْفِيلِ المُلْفِيلِ المَ









الطبعة الأولى 1442هـ–2021م

حقوق الطبع محفوظة جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية الإمارات العربية المتحدة